مناوشات بريئة

قضايا دولية

الطّاهر اعمارة الأدغم

مناوشات بريئة

قضايا دولية

الطّاهر اعمارة الأدغم

الموضوع الرئيسيّ: سياسيّ
عدد الصّفحات: 139 صفحة
قياس الصّفحة: 14,5 سم * 20,5 سم

عنوان الكتاب

قضايا دولية

المؤلف
الطّاهر اعمارة الأدغم

تصميم الغلاف
كمال خزان

الطباعة

ردمك
ISBN:978-9931-798-64-4

الإيداع القانوني
نوفمبر 2021

الطبعة الأولى
ربيع الثاني 1443هـ / نوفمبر 2021 م

بسم الله الرحمن الرحيم

إِهْدَاء

إِلَى أَبْنَائِي
مُحَمَّد نِزَار
عَائِشَة
بُشْرَى

وَالْأَمَلُ يَحْدُونِي

.

.

.

.

.

أَنْ يَعِيشُوا فِي عَالَمٍ تَسُودُهُ قِيَمُ الْحُرِّيَّةِ والْعَدَالَة

مُقَدِّمَة

التّفاعلُ مع أحداثِ العالَم ليس ضربًا من ضروبِ التَّرف، وليس من قَبِيل الكماليّات الإخباريّة والسّياسيّة...

إنّه ضرورةٌ وفَرِيضَة..

إنّه محورُ الأخبارِ وأَسَاسُها، خاصّة بالنّسبةِ لأمثالِنا من الشّعوبِ التّي تَكَالَبَتْ عليها القِوَى الدّوليّة عبر إعلامٍ يصنعُ رأيًا عامًّا في غير صالِحنا، وسياسةٍ مِكْيَافِيلِيَّةٍ لا تُراعي في الغالبِ إلاًّ ولاَ ذِمَّةً في أوطاننا واستقلالها وثقافتها وثرواتها، وتاريخها وماضيها القريب والبعيد.. وحتّى حكوماتها الموالِيّة لهذه القِوَى الدّوليّة وسياساتها...

مَنْ تَخَلَّفَ يومًا عن أَحداثِ العالَمِ، ثمَّ آخر ثمّ آخر: رُبَّمَا وَجَدَ نَفْسَهُ خارج سِياق الزّمن..!!

.....

إذن: لا بدّ من المتابعة لنُدْرِكَ:

أَيْنَ نحن...؟

وَمَعَ مَنْ نعيش..؟

وبالنّسبة لنا في الجزائر:

كَيْفَ يُفَكِّرُ جيرانُنَا على الضّفة الأخرى للمتوسّط، وَكَيْفَ يُفَكِّرُ جيرانُنا الأقربون في الشّمال الأفريقي..؟

وأكثرُ من ذلك وأبعد: كَيْفَ يَفَكِّرُ الفاعلون والمؤثّرون، الأشرار منهم والأخيار، من شركاء العيش على الكرة الأرضيّة..؟؟

.....

وفي هذا السّياق وُلِدَتْ أَفْكَارٌ، وهاهي في مقالاتِ هذا الكتاب...

إنَّهَا سياحةٌ دوليّةٌ حَاوَلَ القلمُ من خلالها المساهمةَ بشيءٍ في دُنْيَا السّياسة، وتقلّباتها، ومفارقاتها وتناقضاتها، ومضحكاتها، ومبكّاتها، على حدّ سواء...

.....

نُشِرَتْ هذه المقالاتُ على صفحاتِ جريدةٍ (صوت الأحرار) ...

والجريدةُ هي الصّوتُ غير المُعْلَنِ صراحةً لحزب جبهة التّحرير الوطنيّ الحاكم في الجزائر، أو الأكثر تأثيرًا في دواليب الحكمِ منذ الاستقلالِ عن الاحتلال الفرنسيّ عام 1962.

(صوتُ الأحرار) صوتٌ غير مُعْلَنٍ للجبهة، لأنَّ الجريدةَ لا تُعَرّفُ نفسَها مع عنوانها في الصّفحةِ الأولى على أنّها (لسانُ حال...)، لكنّ هذا الأمرَ معروفٌ بين جمهور الصّحفيّين والسّياسيّين والمتابِعين.

هذه المقالاتُ، وغيرها من مقالاتِ الزّملاءِ الكُتّاب، ظهرت على صفحة (اتّجاهات) على مدى أكثر من ستّ سنوات من النّشر الأسبوعيّ المنتظم... في تلك الصّفحةِ تَوَاتَرَتْ (خَرْبَشَاتِي)، وكان عنوانُ مقالي الثّابت (مناوشات بريئة).

فالشّكرُ، كلّ الشّكر، للسيّد مُحَمَّد نَذِير بِلّقْرُون، الصّحفيّ والمدير، وإلى طاقم جريدة (صوت الأحرار)، هذا العنوان المُقْتَبَس من النّضال الإعلاميّ خلال سنوات الحركة الوطنيّة والإصلاحيّة التّي سبقت ثورة نوفمبر المجيدة 1954.

.....

وتجدرُ الإشارةُ في هذا المقام إلى أَنَّ المقالَ الصّحفيَّ هو أحدُ الأنواع الفكريّة، أو أنواع الرّأي، في تقسيمات فنّيات الكتابة الصّحفيّة، أو الأجناس الصّحفيّة التّي تُعَبِّرُ عن الواقع وتنقلُه إلى الجمهور المتلقّي عبر المطبوعة الإعلاميّة، جريدة أو مجلّة.. ومن خلال الإعلام الجديد الذّي فَرَضَ نفسَه الآن على القارئ والصّحفيّ والكاتب...

والأنواعُ الفكريّةُ، أنواع الرّأي، تهدفُ في الأساسِ إلى تأطيرِ الجمهور وتوجيهه، وغرسِ القناعات والمواقف والقِيَم في ذهنه، ومن هنا تبرزُ خطورَتُها وأهمّيّتُها..

وعليه: أرجو أن تكون (خَرْبَشَاتِي) قد اقتربتْ من الهدفِ المنشودِ، وحملتْ شيئًا من الرّساليّةِ والموضوعيّةِ والجدّيةِ في الطّرح.

وخلال محاضراتي، أمام طلاّبي، في مادّة فنّيات التّحرير الصّحفيّ كنتُ أركّزُ على مقالةِ الرّأي، وأنّها وسطٌ بين الْأَدَبِ والْعِلْم: فيها شيءٌ من ذاتيّةِ الأديب، وشيءٌ من منهجيّة الباحث..

والذّاتيّةُ مهمّةٌ في المقالات...

لكن... إذا طغتْ على المقالِ تحوّلَ إلى عَمَلٍ أدبيّ.. والمنهجيّةُ كذلك والنّظرةُ العلميّةُ إنْ زادتْ جرعتُهَا تَحَوَّلَ المقالُ إلى مادّةٍ علميّةٍ لها أهلُهَا وقرّاؤُهَا ووسائطُ نشرها من غير الجريدة التّي هي ملتقى جميع الفئات والمستويات: كلُّ من اكتسب مبادئ القراءة، وإن كان في مراحلها الأولى.

.....

مَقَالِي الأسبوعيّ، أو مَنَاوَشَاتِي، كان مساحةً حرّةً أتناولُ فيها ما أراه مناسبًا، وما أتفاعلُ معه، أو أملكُ فيه قدرًا أكبر من المعلومات والمتابَعات..

نعم كنتُ حرًّا في مساحتي الأسبوعيّة، لكنّ الحقيقةَ أنّني مارستُ (هواية) الهروبِ في بعض الأحيان..!!

الهروبُ من الكتابةِ في الشّأنِ الجزائريّ الدّاخليّ.... ومن ثمّ الهروبُ إلى الشّأن الدّوليّ...

ففي الشّأن الدّوليّ مندوحةٌ وَسَعَةٌ، وفي الشّأن الدّاخليّ محاذيرُ كثيرةٌ ومطبّاتٌ ومَزَالِق...

في الصّحافة الحرّة: في وسع أصحابِ الأقلامِ أن يكتبوا كما يَحْلُو لهم...؟؟؟

هذا هو المعلوم بالضّرورة للجميع...

لكنّ غير المعلوم أنّ هناك طُرُقًا لِلْعِتَابِ، وحتّى العقاب قد تقعُ على الكاتب أو الجريدة.. وقد لا يدركُها إلاّ القليل..؟؟

ومع مرورِ الزّمن وتراكمِ التّجارب يصنعُ الكاتبُ، والصّحفيّ، في مثل بيئتنا والبيئات المشابهة، لنفسه حدودًا وقيودًا..!!

يصنعُها في خفايا صدره، ويدركُ حدودَها جيدًا حتّى إن لم يسردها عليه رئيسُ التّحرير أو مسؤولُ النّشر في أوّل يوم يمتشقُ فيه قَلَمَهُ للكتابة...؟؟

بعبارة أخرى: رَحِمَ اللهُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِه.. أو عَرَفَ حدودَ الجريدة التّي يكتبُ فيها، ومساراتها وخطوطها الحمراء، وملابسات حصولها على الإشهار، وعلاقتها بالمحيط العام، خاصّة السّياسيّ..

ومن الطّرائف في هذا السّياق:

خلال السّنة الأولى التّي انطلقتْ فيها صفحةُ (اتّجاهات) تخلّفتُ مرّة عن زيارة الجريدة مدّة ثلاثة أشهر تقريبا.. وكنتُ أرسلُ المقالاتِ بانتظامٍ عبر البريد الإلكترونيّ، وتظهرُ في الجريدةِ والموقع الإلكترونيّ، وتصلُني مستحقّاتي الماليّة عبر حسابي البريديّ الجاري في موعدها، وهو سلوكٌ ماليٌّ منضبطٌ عُرِفَتْ به جريدةُ صوت الأحرار..

وعندما دخلتُ على مدير الجريدة السّيد محمد نذير بلّقرون، بعد ذلك الغياب.. بادرني لائِمًا ومُعاتِبًا: ما هذا الهروب..؟

وظننتُ أنّه يقصدُ الغيابَ الجسديَّ عن مقرّ الجريدة.. ثمّ واصلَ الحديثَ بشكلٍ أوضحٍ قاصدًا الهروبَ عن الكتابةِ في الشّأنِ الجزائريّ الدّاخليّ.. ومن ثمّ اللّجوء إلى الخارج.. إلى الشّؤون والقضايا الدّوليّة..

فعلا: الهروبُ إلى الخارج هو الأسلم... للأسف الشّديد.. وإن كنتُ قد كتبتُ الكثيرَ في الشّأن الدّاخليّ، لكن.. بحذر شديد خاصّة في القضايا السّياسيّة..

وللمفارقة المحزنة: كلٌّ يهربُ بطريقته في تلك السّنوات..؟؟

الشّاب عبر القوارب المتهالكة في اللّيالي الحالكة، وصاحبُ المال وهو يشترى عقارات ويؤسّس شركات في الخارج، والكاتبُ وهو يتحاشى الكتابةَ عن الدّاخل موجّهًا قلمَه نحو الخارج..

إنّها رحلةُ البحث عن السّلامة...

للأسف... اشتركنا جميعا في الهروب، وفررنا من مواجهة الواقع..

هل هي خطيئةٌ نشتركُ فيها جميعا، أم حلٌّ اضطراريٌّ لا مفرّ منه... الله أعلم

.....

وأتذكّرُ أنّني مارستُ هوايةَ الهروب عندما كنتُ محرّرًا في غرفة أخبار قناة العالَم الفضائيّة بالعاصمة الإيرانيّة طهران، وكان الملفُّ العراقيُّ شائكًا، والإيرانيُّ أكثر وأكثر..!!

فكان الْمَخْرَجُ هو الهروبُ نحو إعداد تقارير عن العالَم الواسع من خلال المادّة الإخباريّة والصّور التّي نستقبلُها من وكالات الأنباء العالميّة...

كان هذا هو الْمَخْرَج، وكان الزّملاءُ العراقيّون والإيرانيّون، وحتّى اللبنانيّون، يتحمّلون (عِبْءَ) تلك الملفّات الملغّمة بشكل أو بآخر..؟؟؟

.....

وأخيرا...

قَضَايَا دَوْلِيَّة... هو عنوانٌ لنشرةٍ سياسيةٍ أسبوعية ناطقةٍ بالعربيّةِ ظهرتْ لسنواتٍ معدودةٍ في بلاد قاصيّة، مَثَّلَتْ لي، ولآخرين ولقرّاء عربٍ، الماءَ الزّلالَ الباردَ في صيفٍ حارّ.. لأنّها جمعتْ أقلامًا من عدّة دول عربيّةٍ وأخرى مهاجرة، وتناولت الشّأنَ العربيَّ عبر زوايا جمعتْ بين الإبداع والجرأة والتّحليل، والقراءة الواعيّة للماضي والحاضر والمستقبل..

وفي هذا المقام استعيرُ كلماتٍ من الأستاذ عمر مسقاوي، لبنانيّ من تلاميذ المفكّر الجزائريّ مَالك بْنْ نَبِي:

"... وفاءً لِنَدَوَاتٍ سَقَتْنَا عَلَى ظَمَأٍ صَافِيَ الرُّؤَيَة.." (شروط النّهضة، مالك بن نبي، دار الفكر، الجزائر / دار الفكر، دمشق، سوريّة، الطّبعة الرّابعة، 1407ه-1987م)..

والتّذكيرُ والإشادةُ هناك بنشرة قَضَايَا دَوْلِيَّة يحملُ الشّعورَ ذاتَه: لقد سَقَتْنَا بجرعاتٍ طيّبةٍ من الرّؤيةِ الصّافية لِمَا حولنا من قضايا سياسيّة ونزاعات وصراعات....

نعم... سَقَتْنَا تلك الْوُرَيْقَات الأسبوعيّة على ظمأ، وفتحتْ أعينَنَا على نماذج من النّقد الجريء، والتّحليل الهادئ، والتّشخيص المتجرّد لواقع دولنا العربيّة والقضايا القريبة منها والمؤثّرة في حاضرها ومستقبلها..

تحية لتلك الأقلام.. جميعُ تلك الأقلام.. حتّى ذلك القلم الذّي كان جريئًا وقويًّا.. لكنّ صاحبَه أصرّ على كَسْرِه بعد سنوات عندما وضعَ نفسَه، أو وضعتْه ظروفٌ قاهرةٌ، بين قومٍ طَالَمَا كَالَ لهم الذّمَّ لأنّهم نماذجُ صارخةٌ للتّخلّفِ والاستبدادِ والبؤسِ السّياسيّ..!!؟؟

والمفارقةُ أنّه قال مرّة في إحدى افتتاحيّاته، في قَضَايَا دَوْلِيَّة: كسرتُ قَلَمِي الفاخر الذّي يحملُ صفة كذا وكذا، وتناولتُ القلمَ الأصيلَ البسيط، أو شيئا من هذا... وكتبَ يومها كلماتٍ جريئةً في موضوعٍ من موضوعات السّاعة بإحدى الدّول العربيّة..

.....

توزيعُ المقالاتِ على المحاورِ كانَ وفق الفكرة الغالبة على المقالِ، أو التّي انطلقَ منها.. أمّا التّرتيبُ داخل فضاءِ كلِّ محور فقد احتكمَ إلى تاريخ نشرِ المقال.

والمقالاتُ كما هي، وأسعى دائما لأظلّ أنا، وأعبّرُ عن نفسي من خلال قلمي في ذلك الزّمان والمكان، والملابسات والظّروف ودرجة الوعي والمتابعة المتاحة.

ولا أحبُّ أَبدًا ذَلِكَ النّوع من السّطو أو الادّعاء، عندما (يُظْهِرُ البعضُ الحِكْمَةَ بِأَثَرٍ رَجْعِيّ)..

الطّاهر بن اعْمَارَة الأَدْغَم

بَلْدَةُ كْوِينِين، وِلاَيَةُ الوَادِي، الجَزَائِر

20 نوفمبر 2021 م / 14 ربيع الثّاني 1443 هـ

المِحْوَرُ الأَوَّل
فِي قَارِّةِ آسْيَا

الجُغْرَافِيا هي التَي جمعت مقالاتِ هذا المحور، فالحديثُ هنا عن دول وقضايا ومواضيع في نطاق قارّة آسيا.. القارّةُ الكبيرةُ جغرافيًا وسكّانيًا.. والمتنوّعةُ بشكلٍ مدهش.. والتّي تعاني الفقرَ والقلاقلَ السّياسيّة والعرقيّة والدّينيّة، والكوارث الطّبيعيّة أيضا..

وبقدر ما في آسيا من جمالٍ وشعوبٍ وادعةٍ هادئةٍ، بقدرِ ما فيها من مشاكل وحروبٍ وحدودٍ وصراعاتٍ ورثت القارّةُ أغلبَها من الاستعمار القديم.

وفي آسيا أيضا يتكاثرُ ما يمكن تسميته بالاستبداد النّاعم، والفساد الذّي يسري دون ضجّةٍ كبيرة..

لكن... في آسيا أيضا نماذج نهضة رائعة وجديرة بالاقتداء: العملاقُ الصّينيّ، والمعجزةُ اليابانيّة، والتّجربةُ الماليزيّة المبهرة، والطّفرةُ الكوريّة الجنوبيّة، والقفزةُ التّركيّة.. ونماذج أخرى يمكن الاستفادة منها حتّى في الجوانب السّلبيّة في مساراتها السّياسيّة والاقتصاديّة..

مقالاتُ هذا المحور تدورُ حول دولٍ من قارّةِ آسيا عَرَفْتُها عن قربٍ وعشتُ فيها عددا من السّنوات، أو تابعتُ أخبارَها أكثر من غيرها، أو زاملتُ عددًا من أهلها.. فَنَمَت العلاقةُ وسكنت الصّورُ والأفكارُ في مُخَيِّلَتِي.. فكان القلمُ سبّاقًا إلى الكتابةِ عنها.

صُنْدُوقُ بَرِيد

لا تبيعوا الثّورةَ مهما كان الثّمن... حافظوا على الثّورةِ مهما كان الثّمن.. عبارتان مأثورتان عن الإمام الخمينيّ قائد الثّورة الإسلاميّة في إيران، أو هذا على الأقلّ ما سمعتُه وفهمتُه من صحفيّ عربيّ شيعيّ دَرَسَ وعاشَ لسنواتٍ طويلةٍ في إيران الثّورة والخمينيّ، وما زال يعيشُ ويعملُ هناك لحدّ الآن.

العِبَارَتَانِ، حسب هذا الصّحفيّ الخبير في شؤون "الجمهوريّة الإسلاميّة"، هُمَا أساسُ الخلافِ بين الإصلاحيّين والمحافظين الذّين يتنافسون على رأس السّلطة، وبقيّة مؤسّسات الحكم النّافذة في إيران.

الإصلاحيّون اعتمدوا في منهجهم وفكرهم السّياسيّ المَرِن على العبارة الثّانية "حافظوا على الثّورةِ مهما كان الثّمن"، ولذا جنحوا دائمًا إلى المسالمة ومحاولة مدّ الجسور مع الغرب، حتّى لا تتهشّمَ صلابةُ صخرة الثّورة حين تصطدمُ بصخور الغرب والولايات المتّحدة الأمريكية التّي أعلنت العداء لثورة الخمينيّ منذ انطلاق شرارتها الأولى.

والمحافظون اعتمدوا على العبارة الثّانية "لا تبيعوا الثّورةَ مهما كان الثّمن" ولذلك دَأَبُوا على بذل قصارى جهودهم، ووقفوا بالمرصاد لكلّ محاولات التّراجع الاستراتيجيّ أو التّكتيكيّ عن المبادئ المتشدّدة للثّورة والمواقف المتصلّبة التّي تبنّتها طهران في عهد الإمام الخمينيّ واستمرّت عليها بعد رحليه.

والعهدةُ على الرّاوي، وهو الصّحفيّ سابق الذّكر: هناك مِنْ بين المحافظين المُعَمَّمِينَ من يصلُ تَشَدّدهُ إلى مستوى الجاهزيّة الكاملة والاستعداد للضّغط على أزرار السّلاح النّوويّ أو الصّواريخ طويلة المدى، لو توفّرت له طبعا، ومن ثمّ القضاء على الأخضر واليابس في أيّ أرضٍ يرى أنّها معادية للثّورة الإسلاميّة ومبادئها...!!

ظلّ هذا التّحليلُ أو التّوجيهُ راسخًا في ذهني عدّة سنوات، وكنتُ أقيسُ وأناقشُ وأحلّلُ من خلاله بعض ما أسمعُه من أخبار الجمهوريّة الإسلاميّة وقادتها من المحافظين والإصلاحيّين، إلى أن رأيتُ، عبر الفضائيات، السّيد محمود أحمدي نجاد الرّئيس الإيرانيّ "المحافظ المتشدّد" يطأ بقدميه بساطًا أحمر سَبَقَ أن وَطِئَتْه أقدامُ بُوش وكُونْدَالِيزَا وبْلِير وغيرهم ممن يعتبرهم الخطابُ الرّسميُّ الإيرانيُّ من أكابر شياطين الإنس، وربّما الجنّ أيضا، وربّما وجبَ، حسب هذا التّصنيف الإيرانيّ، رَجْمَ هؤلاء أينما وُجدوا "ولو تعلّقوا بأستار الكعبة"..!!

مسرحُ الزّيارة بطبيعةِ الحال هو تلك المحميّة الأمريكيّة التّي تُعرف بالمنطقة الخضراء وسط بغداد، فهناك مقرّ السّفارة الأمريكية والبرلمان العراقيّ ومقرّ رئاستيْ الدّولة والوزراء العراقيَّتَيْن، ومؤسّسات أخرى مهمّة.

وهكذا ودون صعوبةٍ تُذكر نجدُ أنفسنَا أمام نتيجةٍ حتميّةٍ مفادها أنّ الرّئيسَ الإيرانيَّ المحافظَ، الذّي ينامُ ويستيقظُ على لَعْنِ الولايات المتّحدة الأمريكية، قد قضى يومين كاملين في ضيافة وحماية قوّات أمريكا "الشّيطان الأكبر" في أدبيّات الثّورة الإسلاميّة..!!

هذا التّحوّلُ الكبيرُ الذّي أفرزَ الزّيارةَ، أو هذه الزّيارةُ التّي ستفرزُ تحوّلاً كبيرًا، هو أوّلاً وأخيرًا حقّ مطلق لإخواننا الإيرانيّين إذا كانوا يؤمنون بأنّ السّياسة لا تعرفُ الأخلاقَ والمبادئ، وهي فنُّ الممكن والمتاح دون قيود وضوابط، وهو ما يعني استحالة وجود عدّو أو حليف مطلق.

نعم هو حقّ مطلق لهم، لكن بشرطٍ واحدٍ هو أن يعلنوا ذلك على رؤوس الأشهاد، ولنا الحقّ بعد ذلك أن ننظرَ إلى مواقفهم في فلسطين ولبنان عبر زاوية مختلفة ومنظار أكثر دقّة، وربّما بدا لنا حينها أنّ كلّ ذلك الزّخم والشّعارات، وحتّى الأموال، مجرّد تلاعب بعواطف الشّعوب العربيّة والإسلاميّة البريئة التّي تَنْقَادُ بسلاسةٍ خَلْفَ كلِّ داعمٍ لقضيّة فلسطين العادلة، وجهود المقاومة في لبنان.

زيارةُ الرّئيس نجاد إلى العراق حملت معها مهزلةً أخرى عندما جرى الحديثُ عن قرضٍ إيرانيٍّ بمليار دولار لمشاريع إعادة تأهيل البنية التّحتيّة العراقية التّي دمّرتها الحربُ الأمريكيّة، وهو ما يذكّرُنا بمؤتمرات المانحين التّي تدعو إليها وتديرُها الولايات المتّحدة الأمريكيّة وحلفاؤها..!!

فهل العراق وطاقاته وثرواته وخيراته في حاجة إلى "صدقات" الإيرانيّين والأمريكيّين لو تركته إيرانُ وشأنَه، وغادرته قوّاتُ الاحتلال الأمريكيّ..؟؟

كلُّ متابعٍ للشّأن العراقيّ يدركُ أنّ إيران تشاركُ بممثّلين ملثّمين مقنّعين وآخرين سافري الوجوه في المسرح العراقيّ المفتوح للجميع، والكلُّ يعلمُ أنّ العراق صارَ أشبه بصندوق بريد على حدّ تعبير سياسيّ عراقيّ، نتبادلُ من خلاله كلٌّ من إيران وأمريكا الرّسائلَ، وأكثرها مخضّب بالدّم البريء للأسف الشّديد..!!

لكنّ الذّي فاجأَ الكثيرين، أو فاجأني على الأقلّ، هو أن تتحوّلَ اللّعبةُ بين إيران وأمريكا إلى هذا الحدّ من السّفور والجلاء، ليطأ رئيسٌ إيرانيّ بقدميه أرضًا يحتلُّها عدوُّه الأوّل والأكبر، ويتحرّكُ فيها تحت حماية ورعاية جنود ومجنّدات هذا العدوّ..!!

وَالْمُفَارَقَةُ الْمُضْحِكَةُ الْمُبْكِيَّة: الرّئيس نَجَاد، وَهُوَ يَهُمُّ بِالْمُغَادَرَةِ إِلَى طَهْرَان، **يَدْعُو الْقُوَّاتِ الْأَمْرِيكِيَّة إِلَى مُغَادَرَةِ الْعِرَاق..!!!**

2008-03-06

مُشَرَّف وجَيْلَانِي وَجْهَان لِعُمْلَةٍ وَاحِدَة

رئيسُ الوزراء الباكستانيّ الجديد يوسف رضا جيلاني خرّيجُ سجون الجنرال برويز مشرّف، حيث طالته أيادي هذا الأخير عبر مكتب المحاسبة الذّي أنشأه بعد استيلائه على الحكم عام تسعة وتسعين من القرن الماضي، وتابعَ من خلاله عددًا كبيرًا من السّياسيّين البارزين من حزب الرّابطة الإسلاميّة (نواز شريف)، وحزب الشّعب (بينظير بوتو).

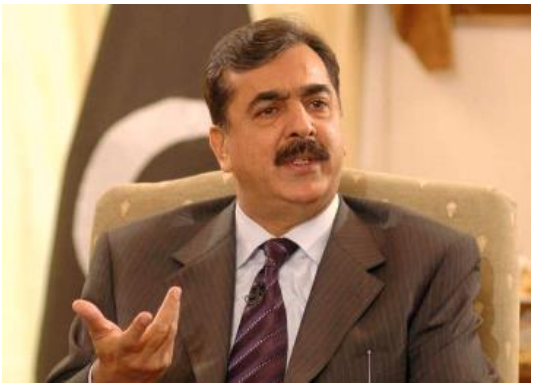

وبدايةً يَجْدُرُ التّأكيدُ على أنّ السّجنَ في دول عالمنا الثّالث ليس عيباً ولا عارًا في كثير من الحالات.. وكثيرٌ من السّياسيّين المعارضين قضوا سنواتٍ طويلةً في السّجون وخرجوا بعدها إلى كراسي الحكم وميادين العمل والمسؤولية، لكنّ حالةَ جيلاني وباكستان فيها شيءٌ من الخصوصيّة لأنّ السّياسيّين والمؤسّسة العسكريّة الحاليّة والبيروقراطيّين المُمْسِكين بِزِمَام الإدارة يلتقون بشكلٍ أو بآخر على خطوطٍ يكادُ الجميعُ يتّفق عليها، تضمنُ لهم تقاسمَ النّفوذ وتحبطُ أيَّ محاولةٍ لتغييرٍ حقيقيّ يطالُ هياكلَ الدّولةِ، ويمسُّ حياةَ الشّعب بشكل مباشر.

وحتّى لو كان سجنُ جيلاني لأسباب سياسيّة فقد استخدمَ مشرّف ضدّه ورقةَ ملفّات الفساد الكبيرة التّي يشتهرُ بها عددٌ كبيرٌ من السّياسيّين في باكستان، خاصّة قيادات حزب الشّعب، وأبرزهم آصف زرداري، خرّيجُ سجون نواز شريف والجنرال مشرّف، وزوج الرّاحلة بينظير بوتو، والوصيّ الحاليّ على الحزب أو الزّعيم الفعليّ له بالأحرى.

المؤسّسةُ العسكريّةُ الباكستانيّة، قبل انقلاب الجنرال برويز مشرّف على حكومة نواز شريف، كانت محلّ احترام من الجميع بسبب أدوارها الوطنيّة المعروفة، ومن ذلك تمسّكها بقضيّة كَشْمِير التّي يعتبرُها الشّعبُ الباكستانيُّ قضيّةَ حقٍّ ومصيرٍ وكرامة، وكذلك وقوف هذه المؤسّسة بكلّ ثقلها وراء البرنامج النّوويّ الذّي أهدى لباكستان موقعًا دوليًا محترمًا، ووفّرَ لها قوّةَ رَدْعٍ أمام جارتها النّوويّة الهند.. فالدّولتان منذ أعلنتَا الاستقلال والانقسام عام 1947 انخرطتَا في تنافسٍ وصراع قَادَهُمَا إلى عدّة حروبٍ داميّة.

ومنذ انقلاب الجنرال مشرّف على الدّيمقراطية الباكستانيّة الهشّة، أقحمت المؤسّسةُ العسكريّةُ نفسَها في مشاكل عديدة، وتورّطت مع المخطّط الأمريكيّ للمنطقة..!!

وعبر الزّيّ العسكريّ الذّي ظلّ مشرّف مصرًا على ارتدائه؛ تجاوزَ العسكرُ كثيرا من الخطوط الحمراء في علاقتهم بمنطقة القبائل البالغة الحساسيّة، وبالمدارس والتّيارات

الدّينية، وحتّى بالشّعور القوميّ العامّ عندما تمّت مضايقةُ الأبِ المؤسّسِ للمشروع النّوويّ الدّكتور عبد القدير خان..!!

ويمكنُ القولُ إنّ توريطَ المؤسّسة العسكريّة الباكستانية في القضايا سالفة الذّكر فتحَ البابَ على مصراعيه لسقوط آخر قلاع البلاد الحصينة، ومن ثمّ ازدياد الوحل في المشهد السّياسيّ الباكستانيّ الذّي ظهرَ جليًّا باستيلاء آصِف زَرْدَارِي على زعامة حزب الشّعب وهو صاحبُ ملفّات فساد من الوزن الثّقيل، وقد عُرِفَ عنه استغلال نفوذه ونفوذ زوجته الرّاحلة بينظير بوتو خلال فترتيْ رئاستها للوزراء في باكستان، حتّى صارَ يُلقّب حينها بـ تَنْ بِرْسِنْتْ (10%)، إشارة إلى نسبةِ العمولةِ التّي كان يفرضُها على كلّ مشروعٍ أو صفقةٍ يمهّدُ لها طريقَ الدّخول أو الخروج..!!

واكتملَ المشهدُ بفوز حزب الشّعب في الانتخابات ووصول جيلاني إلى رئاسة الوزراء..!!

وصلَ الحزبُ بعد كلّ حملات التّشويه والتّشهير التّي قادها ضدّه الجنرال برويز مشرّف..!!

وصلَ بسبب الإقطاع والنّفوذ التّقليديّ لزعامات حزب الشّعب، ومزاج أغلب الجماهير الباكستانيّة التّي ما زالت شغوفةً إلى اليوم بالزّعامة والقيادة والعواطف التّاريخية, على حساب البرامج والسّياسات الجادّة ومشاريع التّغيير الحقيقيّ..!!

اللّعبةُ السّياسيّةُ والعمليّةُ الدّيمقراطيّةُ في باكستان ظلّت على طابعها المميّز، ونكهتها الخاصّة التّي تفوحُ منها روائح الإقطاع والفساد، وتداخل العسكريّ والسّياسيّ بشكل كبير، وزادَ الطّينَ بِلّةً هذا التّدخّلُ الأمريكيُّ السّافرُ في شؤون البلاد بعد التّحالف الذّي أعلنت عنه كلّ من واشنطن وإسلام آباد في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001، وما تبعه من حربٍ أمريكيّةٍ على أفغانستان، وما تلاها إلى اليوم من عمليّات ملاحقة، أو هذا ما يبدو في الظّاهر، لعناصر القاعدة وطالبان.

وهكذا تربّعَ جيلاني على كرسيّ الوزارة، وأعلن أنّ أولى أولويّات حكومته هي محاربة الإرهاب..!!

والإرهابُ الذّي يقصده الرّجل طبعًا هو حركة طالبان باكستان التّي وُلِدَت من رَحِمِ طَالِبَان أفغانستان، والجميعُ يعلمُ متى تأسّست هذه الأخيرة، ومن الذّي كان يدعمها..؟؟

لقد تأسّست وراجت بضاعتُها وتطوّرت واستولت على العاصمة كابل عندما كان جيلاني رئيسًا لبرلمان باكستان، وكانت الرّاحلةُ بُوتُو رئيسةً للوزراء في فترتها الثّانية (93- 1996)، ويعلمُ الجميع ذلك الدّعم الباكستانيّ السّخيّ الذّي تلقّته طالبان، وإن كان صاحبُ الدّور الظّاهر فيه هو مولانا فضل الرّحمان رئيس جمعيّة علماء باكستان، وأحد اللاّعبين الأساسيّين في المسرح السّياسيّ الباكستانيّ.

وبإعلانه هذا يقرّرُ جيلاني أنّ أجندته لن تختلفَ كثيرا عن أجندة الرّئيس مشرّف، وبالتّالي لن يكون سوى الوجه الثّاني للعُمْلة التّي مَثّلَهَا مشرّف خلال السّنوات الماضية، لأنّه وببساطة شديدة يخطبُ وُدّ البيت الأبيض بداية ونهاية، ولن يجدَ مفرًّا من التّناغم الكامل مع سياسة واشنطن في المنطقة على حساب مصالح شعبه وبلاده أوّلا، ومصالح وتطلّعات القوى الإقليميّة في الدّرجة الثّانية..!!

وَسِيَاسَةُ وَاشِنْطُنْ فِي الْمِنْطَقَةِ هِيَ إِطَالَةُ أَمَدِ الْحَرْبِ عَلَى طَالِبَان وَالْقَاعِدَة وَلَيْسَ الْقَضَاء عَلَيْهِمَا..!!

والنَّتِيجَةُ الْعَمَلِيَّةُ طَبْعًا هِيَ تَأْجِيجُ الْوَضْع أَكْثَر، ومن ثمّ الاستمرار في الإمساك بخيوط اللّعبة في المنطقة، والاستفادة من الوجود العسكريّ والسّياسيّ المستمرّ لتحقيق المصالح والأهداف الاستراتيجيّة الأمريكيّة بعيدة المدى، فضلاً عن الأهداف المتوسّطة والقصيرة.

2008-04-03

كَارْزَيْ أَفْغَانِسْتَان و كَارْزَايَات العِرَاق

تحتفلُ أفغانستان بعددٍ معتبرٍ من الأعياد والمناسبات الوطنيّة، من أبرزها ذكرى جلاء القّوات السّوفيتيّة عن البلاد، وذكرى انتهاء الحرب البريطانيّة الأفغانيّة الثّالثة في بدايات القرن العشرين حيث كان الاعترافُ البريطانيّ بالاستقلال التّام لأفغانستان داخليًّا وخارجيًّا.. وبعد حلول "الزّمن الأمريكيّ" على أفغانستان ورحيل طالبان وحكومتهم احتفلت أفغانستان بأوّل عيد وطنيّ في ظلّ الفسيفساء العسكريّة والسّياسيّة الجديدة.

الخبرُ عاديٌّ جدا إلى حدّ الآن، بل وقديمٌ أيضا، لأنّ الحديثَ يدور هنا عن احتفال جرى قبل ستّ سنوات تقريبا.. لكنّ ذلك الاحتفال لم يَخْلُو من مفارقةٍ طريفة، وربّمًا سخيفة في نفس الوقت، وقعَ فيها الرّئيسُ الأفغانيّ الجديد الذّي دخلَ القصرَ الرّئاسيَّ على ظهور الدّبّابات البريطانيّة والأمريكيّة...

الاحتفالُ كان بمناسبة الاعتراف البريطانيّ باستقلال أفغانستان عام 1919، ويَعْرِفُ المتخصّصون في تاريخ المنطقة أنّ البريطانيّين والأفغان خاضوا ثلاث حروب خلال القرنين التّاسع عشر والعشرين.

وقد تعرّضَ الجيشُ البريطانيّ الغازيّ في إحدى هذه الحروب إلى هزيمة نكراء، حيث أُبيد عن بكرة أبيه، ولم ينجو منه إلا أفراد قلائل، بل قيل إنّ طبيبًا بريطانيًّا فقط هو من كُتِبَتْ له الحياة، ربّما ليحكي فصولَ القصّة الكاملة لبني جلدته هناك..!!

الاحتفالُ كان كبيرًا وحضره سفراء أجانب معتمدون في كابل بينهم السّفير البريطانيّ الذّي تُعَدُّ بلادُه اللاّعب الثّاني في ما جرى ويجري في أفغانستان ما بعد طالبان، وذلك بعد التّحالف والصّداقة التّي انعقدت أواصرُها بين رئيس الوزراء البريطانيّ تُونِي بْلِير والرّئيس الأمريكيّ جُورْجْ بُوشْ الابن.

وجاءَ دورُ كلمة الرّئيس حامد كَارْزَيْ، وكانت المناسبةُ تقتضي أن يشنّ "فخامته" حربًا كلاميّةً شعواء على المستعمر البريطانيّ القديم، ويفخرُ أمام شعبه والحاضرين الأجانب والعالَم كلّه بالهزائم المؤلمة التّي تعرّض لها الجيش البريطانيّ في أفغانستان، ويندّدُ بالجرائم التّي ارتكبتها القوّاتُ الغازيّة ويطالبُها بالاعتذار ولو بعد هذه العقود الطّويلة.

لكنّ ذاكرةَ "صاحب الفخامة" كانت قصيرةً على ما يبدو، فصبَّ الرّئيسُ كَارْزَيْ جَامَ غضبه على الرّوس والاتّحاد السّوفيتيّ السّابق، حيث تحدّثَ عن بطولات الشّعب الأفغانيّ وجهاده ضدّ القّوات الرّوسيّة الغازيّة... وأبدعَ في ذلك، وصالَ وجالَ وانتهت كلمتُه دون أن يذكرَ شيئًا عن الطّرف الأسّاسيّ في هذا العيد الوطنيّ، وهي "بريطانيا العظمى" صاحبة السّجل الحافل في استعمار كثير من شعوب العالَم بجميع قارّاته..؟؟

إحدى الصّحف الأفغانيّة المشاغبة، في جوّ الحرّية الأمريكيّة المصطنعة، سارعت إلى التّعليق على كلمة الرّئيس كَارْزَيْ غامزةً من قناته ومتسائلةً: هل يمكنُ أن يكون الرّئيس قد نَسِيَ أنّ العيدَ هو عيدُ الاستقلال عن بريطانيا، وليس عيد جَلاَءِ القوّات الرّوسيّة عن أفغانستان..؟؟

وهكذا "ما أشبه اللّيلة بالبارحة"...

تكرّرت القصّةُ نفسها تقريبا وأنا أتابعُ، عبر إحدى الفضائيّات الإخباريّة، كلمةَ رئيس الوزراء العراقيّ نوري المالكيّ خلال مؤتمرِ دولِ جوارِ العراق الذّي انعقد مؤخّرا في دولة الكويت، فقد حاولَ الرّجلُ أن يقفزَ فوق خمس سنوات كاملة هي عمرُ الاحتلال الأمريكيّ للعراق، وما تمخّضَ عنه من انفتاحٍ كاملٍ للبلاد على دوّامةٍ عنيفةٍ وأجنداتٍ مختلفة اختلط فيها الأمريكيّ بالبريطانيّ بالإيرانيّ بالعربيّ بالكرديّ بالتّركمانيّ بالشّيعيّ بالسّنّيّ بالقاعديّ بالصدريّ بالصَّحْوَتِيّ بالطّائفيّ بالعِرقيّ بالسّياسيّ بالعشائريّ بالمذهبيّ....!!؟؟

إنّها فوضى عارمة لا نظير لها أتتْ على أخضرِ العراق ويابسه، لكنّ "عباقرة" المحافظين الجدد وساسة البيت الأبيض حاولوا إيهامَنا بأنّها "فوضى خلاّقة"، وأنّها ضرورةٌ لا بدّ منها للوصول إلى ما هو أفضل للشّعب العراقيّ ودول المنطقة..!!

تَجَاوَزَ السّيّد نوري المالكيّ سنواتِ الاحتلالِ السّوداء الحمراء، وراح يرمي حممَ غضبه وسخطه على العقود الماضيّة حيث كان حكمُ حزب البعث في العراق، ومغامراته ومعاركه مع جيرانه و"عسكرته للشّعب العراقيّ" على حدّ تعبير المالكيّ.

نعم.. إنّ جرائم حزب البعث لا تخطئها عين "نصف مطّلع" على أوضاع دولنا العربيّة عامّة والأنظمة الثّورية بصفة خاصّة، ولن يغيبَ عن ذاكرةِ أحدٍ ما حصل في العراق والكويت وما تعرّض له الأكراد في الشّمال.

لكنّ الوضعَ تغيّر، فالعراقُ الآن محتلٌّ مستباحُ الكرامة، والأدهى من ذلك أنّ القوى التّي تلعنُ نظامَ صدّام اليوم هي التّي وقفت وراءه سنين طويلة وأمدّته بالمال والخبرة والسّلاح..!!

المالكيُّ يتحدّثُ عن جرائم الحقبة البعثيّة وبعض دول الجوار العراقيّ كانت الدّاعمَ الرّئيسيَّ لصدّام حسين في حرب الثّماني سنوات مع إيران..!!

وتحدّثَ المالكيُّ عن مغامرةِ غزو الكويت وكونداليزا رايس تستمعُ إليه، والكلُّ يعلمُ أنّ إدارة البيت الأبيض أوهمت الرّئيس صدام، قُبَيْلَ غزوه للكويت، أنّها لن تتدخّلَ إذا أقدمَ الرّجلُ وجيوشُه على اجتياح أراضي جيرانه..؟؟ أي أنّها لوّحتْ له بالضّوء الأخضر وزيّنتْ له نيّتَه المُبيَّة..!!

ولأنّنا في زمن المفارقات، فلا بأس أن نختم بمفارقة أخرى..

كلّ متتبّع لِدُنْيَا الأخبار قبل أشهرٍ من غزو العراق، لا بدّ أنّه لاحظَ تكرار تلك "اللاّزمة الإخباريّة" في كثير من تقارير القنوات التّلفزيونية والصّحف، وخلال مقالات الرّأي والتّحليلات السّياسيّة.

كانت تلك اللاّزمة تَعْقُبُ كلَّ حديثٍ عن البديل المتوقّع بعد إسقاط نظام صدّام حسين.. وكان الكاتبُ أو الصّحفيُّ عادة ما يتساءل: فمن يكون كَارْزَيْ العراق القادم..؟؟

وَالْمُفَارَقَةُ أنَّ الافْغَانَ اكْتَفَوا مُنْذُ سُقُوط طَالبَان بِكَارْزَيْ وَاحِد ظَلّ مُتَرَبِّعًا عَلَى كُرْسِيّ الْحُكْمِ فِي الْبِلاَد، **وَفِي الْعِرَاقِ تَعَدَّدَ "الْكَرْزَايَات"**، وَلَعِبَتْ بِهِمْ دَوَائِرُ الاحْتِلاَلِ، فَهَلْ كَارْزَيْ أَفْغَانِسْتَان أَقْدَرُ وَأَكْفَأُ وَأَقْوَى مِنْ كَارْزَايَات الْعِرَاق..؟؟؟

2008-04-24

أُذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُم

عندما بدأت نُذُر أو بشائرُ حملةِ الائتلافِ الحاكمِ في باكستان ضدّ الرّئيس الجنرال برويز مشرّف، لم تحرّك واشنطن ساكنًا ولم يحمرّ وجهُ البيت الأبيض غضبًا للحليف الوفيّ الذّي أمضى سنوات حكمه في خدمة المصالح الأمريكيّة، واكتفى القومُ في بلاد "العمّ سام" بتصريحٍ قصيرٍ مفاده أنّ الأمرَ برمّته شأنٌ باكستانيٌّ داخليّ.

الموقفُ الأمريكيُّ "الحياديّ" تجاه ما جرى في باكستان كان إشارةً واضحةً إلى أنّ إدارةَ الرّئيس جورج بوش قد تخلّت نهائيًّا عن أحد حلفائها الأساسيّين في المنطقة.

تحالفٌ بين الطّرفين بدأ قويًّا وعمليًّا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ألفين وواحد..

تلك الأحداثُ التّي قادت نحو حربٍ أمريكيّةٍ شعواء على أفغانستان بدعوى القضاء على طالبان والقاعدة، وملاحقة أسامة بن لادن بشكلٍ أخصّ..!!

معادلةُ الصّراعِ الباكستانيّ الدّاخليّ بَدَتْ واضحةً وبسيطة، ونتائجُها كانت محسومةً تمامًا، فالرّئيس برويز مشرّف هو العدوّ رقم واحد لكلٍّ من الحزبين المتنافسيْن والمؤتلفيْن في السّلطة في الوقت ذاته، وهما حزب الشّعب بزعيمه الفعليّ آصف علي زَرْدَارِي زوج الرّاحلة القتيلة بينظير بُوتُو التّي ورثت الحزبَ عن والدها الرّاحل ذو الفقار علي بُوتُو، وحزبُ الرّابطة الإسلاميّة (مسلم ليگ) بزعامة نواز شريف رئيس الوزراء الذّي نفاه الجنرال مشرّف بعد الانقلاب العسكريّ ضدّ الحكومة المنتخبة عام تسعة وتسعين من القرن الماضي.

إذن كان الجنرال مشرّف هو العدوّ اللّدود للرّجلين والحزبين المتنافسيْن، وظهرَ جليًّا أنّه صارَ شريدًا طريدًا وحيدًا، فبدلته العسكريّةُ قد تخلّى عنها قبل فترة بعد أن كان يرفضُ ذلك ويقولُ إنّها مثل جِلْدِه تمامًا..!!

والسّياسيون المؤيّدون له كان حصادهم مرًّا في الانتخابات البرلمانيّة الأخيرة..

وهكذا وجد الرّجلُ نفسَه في مواجهة خصومه الأقوياء الذّين نكّلَ بهم خلال سنوات حكمه، سجنًا ونفيًا وإقامةً جبريّةً وتضييقًا اقتصاديًّا وتشويهًا سياسيًّا.

لا أحبّذُ التّفسيرَ التآمريَّ إطلاقًا، وأظنُّ أنّ أحدَ عيوب خطابات وكتابات الكثيرين في عالمنا العربيّ هو نسبةُ كلّ شيء إلى الولايات المتّحدة الأمريكيّة، وإبرازها دائمًا على أنّها القوّة الخارقة التّي تعرفُ القضايا الكبيرة، ولا تعجزُ أعينُها عن رؤية التّفاصيل الصّغيرة..!!

ومع ذلك.. لا مَنَاصَ في الحالة الباكستانيّة من الحديث عن دورٍ أمريكيّ فيما حدث، أو أقلّ من ذلك وهو القبول أو السّكوت أو الإشارة بطرف خفيّ: هيّا تحرّكوا أيّها "النّجباء" فلا شأن لنا فيما يحدثُ بينكم وبين "الجنرال الدّكتاتور"، حتّى لو كان يوما يسكنُ سويداء القلب الأمريكيّ الرّسميّ وهو يعلنُ نفسَه حليفًا استراتيجيًّا للقوّة الأمريكيّة في حربها على أفغانستان..!!

لقد استنفذتْ واشنطن "مدّة صلاحيّة" الرّئيس الجنرال برويز مشرّف، واستهلكت المسكينَ تمامًا، حتّى أصبحَ كالسّلاح القديم الذّي تجاوزه الزّمن، فصارَ التّخلّصُ منه فرضَ الوقتِ وضرورةً لا يغفلُ عنها كلُّ عاقلٍ حكيمٍ يحسنُ إدارةَ المعركة..!!

استغنتْ عنه واشنطن رغم إخلاصه الشّديد لها، ورغم خطواته "الجريئة" ومنها إقدامه على مصافحة رئيس الوزراء الإسرائيليّ أرييل شارون على هامش القمّة العالميّة للأمم المتّحدة عام ألفين وخمسة، فكان أوّلُ رئيس باكستانيّ يصافحُ مسؤولاً إسرائيليا.

لقد انكشفَ أمرُ الجنرال برويز مشرّف للعام والخاصّ في باكستان، بعد أن أوصلَ البلادَ إلى حالة مأساويّة ظهرت عناوينُها في غلاءِ المعيشةِ والوضع الأمنيّ المتردّي، والأخطرُ من كلّ ذلك توريطُ الجيش الباكستانيّ في صراعاتٍ مباشرةٍ بمناطق القبائل الباكستانيّة، فخسرَ الجيشُ ذلك الإجماعَ الذّي كان معقوداً عليه بين مختلف طوائف وأطياف وطبقات الشّعب الباكستانيّ.

كان الجيشُ هو الضّمانة الحقيقيّة لوحدة البلاد، ورمزُ عزّتها عبر تمسّكه بقضيّة كشمير المتنازع عليها بين الهند وباكستان، وحمايته للمشروع النّووي الذّي رفعَ منزلةَ باكستان بين دول العالَم.

وهكذا نزلت شعبيّةُ الجنرال مشرّف إلى حدودها الدّنيا، وكان على الولايات المتّحدة، التّي تحسنُ التّلاعبَ بالأزمات، أن تتخلّصَ من الرّجل بأسرع ما يمكن، فكلّ ساعة إضافيّة يقضيها على كرسيّ الحكم تمثّلُ عبئًا جديدًا على المشروع الأمريكيّ في المنطقة.

الحزبان المؤتلفان متقاربان بعض الشّيء في نمطِ وخلفيّاتِ التّركيبة القياديّة، وتجربتهما السّابقة في الحكم متقاربة أيضا، وقد فشلَ كلٌّ منهما خلال فترة حكمه في

الإتيان بالمفيد لعامّة الشّعب، أو التّخفيف من وطأة الفقر بشكل ملموس، أو محاربة الفساد بشكل حازم، بل إنّ الخاصّ والعامّ في باكستان يعرفُ أنّ قياديّين كُثُر في الحزبين، خاصّة حزب الشّعب، متورّطون في قضايا الفساد التّي تُعرضُ من حين لآخر أمام المحاكم.

ليس في جعبة الحزبين المؤتلفيْن أيّ جديد يمكن تقديمه للشّعب الباكستانيّ والمنطقة، ولا يملكان حلولاً سحريّةً حتّى لو صَدَقَا في خدمة البلاد والعباد هذه المرّة، ونقاطُ الضّعف في هياكلهما القياديّة وتاريخهما في الحكم كثيرة، والثّغرات التّي يمكنُ أن تنفذَ منها السّياسة، أو المصلحة، الأمريكيّة عبرهما متوفّرة بسخاء، وهكذا فحال البلد بعد رحيل مشرّف لن يتغيّر، عدا ما سنراه من مساحيق وشكليّات تَظْهَرُ على الوجوه الجديدة القديمة لاستهواء الشّعب وخداعه لبعض الوقت.

جاء في الحديث الشّريف: "أذكروا محاسنَ موتاكم وكفّوا عن مساويهم".

والمرجّحُ أنّ الجنرال مشرّف مات سياسيًّا وعسكريًّا.. ومن محاسنِ الرّاحلِ أنّه بادرَ بالاستقالة فأراحَ واستراحَ ووفّرَ على الباكستانيّين الكثيرَ من الكلام واللّغط والاحتقان.. ولعلّ من محاسنه أيضا أنّه استقال مبكّرا ليفتحَ البابَ على مصراعيه أمام عودة التّنافسِ بين الحزبين المؤتلفيْن، بل وبين رجال حزب الشّعب.

وَالنَّتِيجَةُ هِيَ كَشْفُ الْغِطَاءِ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الشِّعَارَاتِ الزَّائِفَةِ وَالْوُعُودِ الْبَرَّاقَةِ الَّتِي تَغَنَّى بِهَا رِجَالُ الْحِزْبَيْنِ خِلاَلَ الانْتِخَابَاتِ الْبَرْلَمَانِيَّةِ الأَخِيرَةِ، **وَمِنْ ثَمَّ تَعْرِيَةُ بَعْضِ قِيَادَاتِ الْحِزْبَيْنِ** أَمَامَ الْمَلأِ، فَقَدْ ظَهَرُوا بِأَشْكَالِ الْمَلاَئِكَةِ الأَطْهَارِ، وَأَعْمَالُهُمْ وَتَصَرُّفَاتِهِمْ السَّابِقَةِ تَجْعَلُهُمْ أَقْرَبَ إِلَى الشَّيَاطِينِ الاشْرَار.

2008-08-21

الدّيمُقْرَاطِيَّةُ العَرْجَاء

ختمتُ "مناوشة" الأسبوع الماضيّ بذكر "محاسن" الرّئيس الباكستانيّ الجنرال برويز مشرّف، الرّاحل سياسيًّا وعسكريًّا.. وقلتُ إنّ من بين تلك المحاسن استقالَتَه المبكّرة التّي ستفتحُ البابَ على مصراعيه أمام عودة التّنافسِ بين الحزبين المؤتلفيْن، (الرّابطة الإسلاميّة جناح نواز شريف، وحزب الشّعب) والنّتيجةُ هي كشفُ الغطاءِ عن كثيرٍ من الشّعاراتِ الزّائفةِ والوعودِ البرّاقةِ التّي تَغَنّى بها رجالُ الحزبين خلال الانتخابات البرلمانيّة الأخيرة.

ذلك الأمر المتوقّعُ حدثَ فعلاً حيث طَفَت الخلافاتُ بين الحزبين إلى سطح بحر السّياسة الباكستانيّ بشكلٍ سريعٍ جدًّا، بل في اليوم الأوّل لرحيلِ الجنرال برويز مشرّف ومغادرته نهائيًّا القصر الرّئاسيّ في العاصمة إسلام آباد، ثمّ راحت الخلافاتُ تتزايدُ يوما بعد يوم، فبين رجال الحزبين الكثير من الثّارات القديمة خلال فترات حكمهما الماضية.

عندما توقّعتُ ذلك لم أكن أتمنّاه بطبيعة الحال، خاصّة أنّ باكستان دولةٌ شقيقةٌ لبلادنا، وما يجمعنا بها أكثر مما يفرّقنا بكثير، رغم الثّقل الواضح في كفّة العلاقات الجزائريّة الهنديّة على حساب العلاقات مع باكستان، لأسباب سياسيّة واقتصاديّة وغيرها..!!

والحقيقةُ التّي يدركُها الجميعُ أنّ ما نتمنّاه لبلادنا والبلدان الشّقيقة شيء، والنّتائج المتوقّعة المبنية على مقدّمات ومعطيات واقعيّة شيء آخر، فلا مفرَّ من القبول بذلك حتّى لو مَلأَ قلوبَنا حزنًا وألمًا، لأنّ قوانين الكون وسنن الحياة تسري على الجميع، ولن تتأخّرَ أو تتوقّفَ مراعاة لنيّة طيّبة أو آمال مرجوّة هنا أو هناك.

سنوات "الدّيمقراطيّة" التّي سبقت انقلاب الجنرال برويز مشرّف لم تحمل شيئا ذا بَالٍ للشّعب الباكستانيّ، ولم تحدث التّغييرَ المطلوبَ في مجريات حياته وأسباب معيشته اليوميّة وآفاق مستقبله القريب والبعيد، بل زادت سنواتُ تلك الدّيمقراطيّة العرجاء حياةَ النّاسِ سوءًا على سوء، وأدخلت البلادَ في عددٍ من الأنفاق المظلمة التّي مهدت لعودة العسكر إلى الواجهة السّياسيّة من جديد..!!

بدأت تلك الدّيمقراطية بعد رحيل الرّئيس الجنرال ضياء الحقّ الذّي قُتل في حادث طائرة مثير للجدل عام ثمانية وثمانين من القرن الماضي، لتعودَ بينظير بُوتُو من المنفى وتقودَ حزب الشّعب الذّي أسّسه والدها الرّاحل ذو الفقار علي بُوتُو، وتفوزَ في الانتخابات بأغلبيّة غير مريحة، وتعتليَ كرسيَّ رئاسة الوزراء لتكونَ بذلك أوّل امرأة حاكمةٍ لدولةٍ مسلمةٍ بعد الملكة "شجرة الدّرّ" التّي حكمتْ مصرَ لعدّة أشهر أيّام دولة المماليك.

وبعد عامٍ ونصفٍ تقريبا سقطت حكومةُ بينظير بوتو، ليتولّى نواز شريف رئاسةَ الوزراء في انتخاباتٍ فازَ فيها عبر تحالف مع أحزاب أخرى، وبعد قرابة ثلاث سنوات تمّت إقالةُ الرّجل، لتفوزَ المرأة (بينظير بُوتُو) في الانتخابات الموالية وتتولّى رئاسةَ الوزراء للمرّة الثّانية، لكنّها لم تعمّر فيها طويلا، فقد جرت إقالتها بعد أقلّ من ثلاث سنوات، وفي انتخابات مشابهة موالية أيضا صعدَ الرّجلُ (نواز شريف) في فترة ثانيّة قضى فيها قرابة الثّلاث سنوات على كرسيّ الحكم ليُطيح به الجنرال برويز مشرّف في أكتوبر عام تسعة وتسعين من القرن الماضي..!!

سنواتُ "التّداول السّلميّ" على رئاسة الوزراء في باكستان (بين حزبيْ الرّابطة جناح نواز شريف، وحزب الشّعب بزعامة بينظير بُوتُو ومساعدة زوجها آصف علي زَرْدَارِي) عمّقت الشّرخَ بين الحزبين المتنافسيْن أصلاً، وكانت الحياةُ السّياسيّةُ أقربَ إلى الحرب منها إلى النّزال السّياسيّ النّظيف البريء، فعندما يصلُ حزبٌ إلى السّلطة يكرّسُ الآخرُ كلَّ إمكانياته في البرلمان والشّارع لإحراجه، ووضع العراقيل والمطبّات أمامه، ومن ثمّ إسقاط حكومته أو المساهمة في ذلك على الأقل..!!

يقتربُ العددُ الإجمالي للسّكان في باكستان من المائة وستّين مليون نسمة، ويعاني هذا العدد الهائل من مشاكل اقتصادية.

فنِسَبُ الفقر، وما تحت مستوى الفقر، تزدادُ سنة بعد أخرى..!!

والحالةُ السّياسيّةُ مع دول الجوار تتأرجحُ: فمع الهند عداوةٌ شبه دائمة تصل إلى حالات الاستنفار العسكريّ على الحدود في بعض الأحيان، ومع أفغانستان كرّ وفرّ وتبادل متواصل للاتّهامات، ومع إيران برودة علاقات متّصلة يتحكّم فيها تداخلُ عرقيٌّ ومصالحُ قوى دوليّة، وبين هذا وذاك تمرحُ المصالحُ الأمريكيّة وتلعبُ كما تشاء وكيف تشاء وبما تشاء من مقدّرات البلد وطاقاته..!!

الاختلافُ السّياسيّ مشروعٌ، وأساسٌ للتّنوّع والثّراء وخدمةٌ للبلاد والعباد، لكنّ أوضاعَ باكستان ودول أخرى كثيرة مشابهة لا تسمحُ بالتّطرّف والإفراط والتّفنّن في الخلاف حتّى لو كان لأجل المصلحة العامّة، فكيف إذا كان الخلافُ وليدَ نزواتٍ شخصيّةٍ أو حزبيّةٍ في أحسن الأحوال..؟؟

إنّ النّموذجَ الباكستانيَّ يتكرّرُ بشكل أو بآخر في بلدان عالمنا الثّالث، حيث تتناحرُ الأحزابُ وتختلفُ وتُهْدِرُ المالَ والوقتَ وهي في مراحل حسّاسة يحتاج فيها البلد إلى تكاتف جهود الجميع، ولا مبرّرَ إطلاقًا لأيّ "فجور في الخصومة" لأنّ نقاطَ الاتّفاق كثيرةٌ في مثل ظروف بلداننا، ولو انشغلت بها الأحزابُ لما وجدت وقتًا للخلافات العميقة والسّطحيّة على حدّ سواء.

إنّ الاختلافَ السّلبيَّ حول كلّ شيء لا يتناسبُ مع الوضعيّة التّي تعيشها دولنا.. وعندما أدمنت كثيرٌ من أحزاب بلداننا هذا النّوع من الاختلاف ظلّت في مكانها تكرّرُ الفشلَ، وتنسخُ التّجاربَ البائسة، وتحافظُ على مستويات التّخلف "المكتسبة"، وتعمل جاهدةً، بوعي أو دون وعي، لتحقيق مشاريع وأجندات غيرها لقاء ما تحصلُ عليه من تقدّم في أجنداتها الشّخصيّة والحزبيّة الضّيّقة..!!

إِنَّهَا الدِّيمُقْرَاطِيَّة الْعَرْجَاء الّتِي شَهِدَتْهَا وَتَشْهَدُهَا بَاكِسْتَان وَدُوَلٌ أُخْرَى مُشَابِهَة.

2008-08-28

مَأْسَاةُ الأَكْرَادِ والخِيَارُ الثَّالِث

محاولاتٌ حثيثةٌ علنيّةٌ وخفيّةٌ تقومُ بها قيادةُ الجيش التّركيّ لإعادة العمل بما يشبه حالة الطّوارئ في مناطق الأكراد بشرقيّ تركيا، ذلك "الحقّ" الذّي كان يتمتّعُ به الجيشُ قبل الإصلاحات التّي أقدمَ عليها حزبُ العدالة والتّنمية الحاكم ضمن مساعيه لتضييق الهوّة بين تركيا والاتّحاد الأوروبيّ، ومن ثمّ التّقدّم في مفاوضات الانضمام إلى ذلك "الكيان السّاحر".

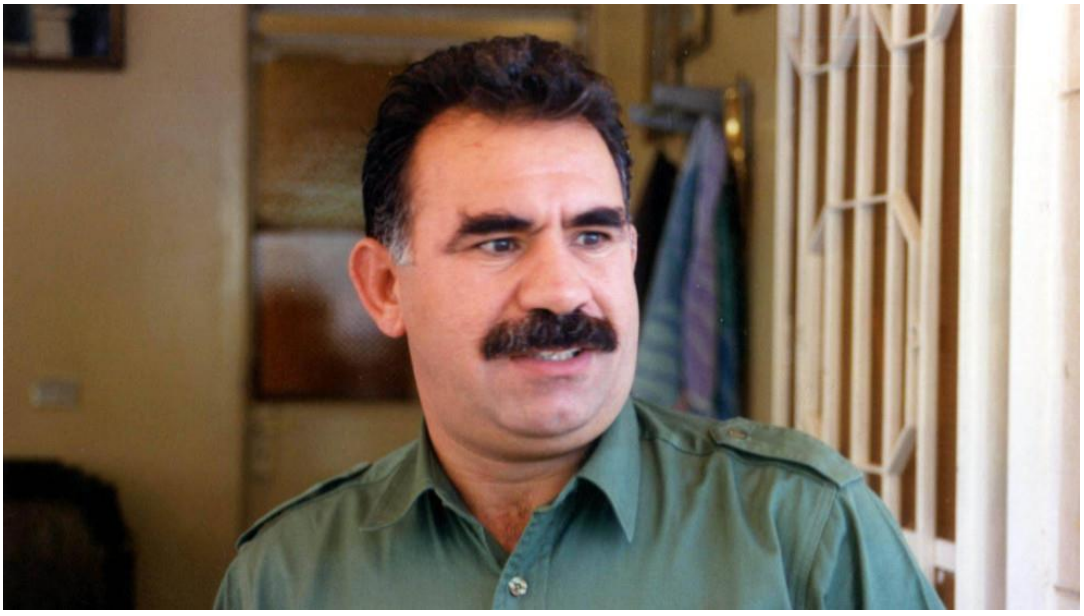

القضيّةُ الكرديّةُ في تركيا ظلّت دائمًا لعبةَ كرٍّ وفرٍّ منذ بدأ حزبُ العمّال الكردستانيّ التّعبيرَ عن آرائه ومطالبه بشكلٍ مسلّحٍ عام 1984، بعد أن انطلقَ بصورةٍ سياسيّةٍ سلميّةٍ عام 1978 على يد مجموعة من الطّلاب الكردستانيّين اليساريّين في تركيا، اختاروا عبد الله أوجلان رئيسًا لذلك الحزب الوليد، الذّي كُتِبَ له لاحقًا أن يلعبَ كلَّ هذا الدّور الذّي نشهده اليوم، ويثيرَ هذا الحجم الكبير من الجدل والاهتمام الإقليميّ والدّوليّ.

لعبةُ الكرّ والفرّ هذه كانت فظيعةً في أكثر فصولها ومراحلها، فقد تُرجمتْ في الميدانِ قتلاً حقيقيًّا ومعاركَ شبه متواصلة بلغ عددُ ضحاياها عشرات الآلاف من الطّرفين خلال عقدين ونصف من الزّمن..!!

والمعركةُ السّياسيّةُ لم تكن أقلّ حجمًا من العسكريّة، فقد ظلّت تركيا تلاحقُ حزبَ العمّال سياسيًّا عبر الضّغط على دول الجوار التّي تتّهمُ بعضَها بإيواء المقاتلين الأكراد أو دعمهم، وعبر التّنسيق مع الدّول "ذات الاهتمام المشترك" الَّتِي تجتهدُ هي أيضا كي لا يتجاوزَ الأكرادُ الخطوطَ الحمراء التّي رُسمت لهم..؟؟

لعبةُ الكرّ والفرّ بين الجيش التّركيّ وحزب العمال الكردستانيّ لم تكن بريئةً في جميع مراحلها وتفاصيلها، فهي، حسب بعض الخبراء، شكلٌ من أشكال الحرب الباردة بين الحكومات المنتخبة والجيش التّركيّ.. فهذا الأخيرُ كان، ولا يزالُ، يرى أنّه الحامي والمحامي الأوّل للعلمانيّة في البلاد، والوارث الشّرعيّ وربّما الوحيد لكمال أتاتورك مؤسّس تركيا الحديثة، بينما حاولت الحكوماتُ التّركية، خاصّة الحكومة الحاليّة، التّخلّصَ من قبضة الجيش والانتقال إلى مرحلة يكون فيها الجيشُ ضمن مؤسّسات الدّولة، ومن ثَمّ طيّ صفحة الماضي التّي كان الجيشُ فيها يمتلك "دولة".

وبغضّ النّظر عن المشهد السّياسيّ الحاليّ في تركيا، تظلُّ قصّةُ الشّعب الكرديّ نموذجًا للمآسي التّي خلّفَها الاستعمارُ الغربيُّ وغذّتها الأنظمةُ الحاكمةُ بعد ذلك، بِعِلْمٍ أو جهل، عندما اختارتْ دائما الهروبَ إلى الأمام والقفزَ فوق حقائق التّاريخ والجغرافيا،

ومسلّمات علم الاجتماع وما تعارفتْ عليه البشريّة قديمًا وحديثًا، وما فُطرتْ عليه الشّعوبُ من تعلّقٍ بلغاتها، واحترامٍ لتقاليدها واستماتةٍ في الدّفاع عن مقوّمات وجودها.

إنّ الأكرادَ شعبٌ كسائر شعوب المنطقة، وأبناء هذا الشّعب يصرّون على أنّهم كُرْدٌ أبناء كُرْدٍ، وسيظلّون كُرْدًا ما داموا على وجه هذه الأرض، وما قامت به تركيا مثلا عندما سمّتهم "أتراك الجبال" لم يرضهم ولن يرضهم بأيّ حال من الأحوال، وسوف يستبسلون أكثر في الدّفاع عن أصلهم الكرديّ، حتّى لو أطلقت عليهم تركيا لقب "تاج الأتراك" أو "سادة الأتراك"..!!

لقد راهنت النّخبةُ التّركيّةُ منذ عهد المؤسّس كمال أتاتورك على إقامة دولة مدنيّة حديثة بالمقاييس الأوربيّة، لكنّها ظلّت الطّريقَ سهوًا أو عمدًا، فأحدُ مقوّمات الدّولة المدنيّة هو الاحترام الكامل لجميع مكوّنات الشّعب الدينيّة والعرقيّة، بما فيها الحفاظُ على اللّغات وفسح مجالات التّطور والنّموّ أمامها، وهو الأمرُ الذّي حدثَ عكسُه تمامًا في "الجمهوريّة التّركيّة الحديثة" عندما وصلَ الاجحافُ عام 1982 إلى حدّ إصدار قانونٍ يحظرُ الحديثَ باللّغة الكرديّة، وفي المقابل سعت تركيا في سنوات سابقة، وربّما الآن أيضا، إلى إحياء الرّابطة الطّورانيّة التّي تربطُ أتراك آسيا الوسطى بأتراك الأناضول، ومن ثمّ حاولت إقامةَ "عالَم تركيّ" ودعمت ذلك المسعى سياسيًّا ودبلوماسيًّا وثقافيًّا واقتصاديًّا..!!

لقد سلكت تركيا ذلك المسلك ولم تأت في ذلك ببدعة سياسيّة أو ثقافيّة جديدة، فَرَحِمُ العالَم ظلّ دائما يتمخّضُ عن التّكتّل تلو التّكتّل، وبمختلف المرجعيّات والرّوابط والمصالح.. لكنّ منطقَ "حرام عليكم حلال لنا" هو الذّي يُستنكرُ في هذا الشّأن، فقد ظلّ الأكرادُ منذ زمن طويلٍ يحلمون بوطنٍ قوميٍّ يجمعُ شملَ شتاتهم، ويوحّدُ شعبَهم المقسّم بين عدّة دول، وظلّت تركيا في المقابل لاعبًا هجوميًا في جميع الجهود التّي تدعو

إلى الجمود المطلق والتّسمّر عند الحدود التّي رُسمت بأيَادٍ استعماريّةٍ بعد الحرب العالميّة الأولى..!!

لقد حُرِمَ الأكرادُ من حقّ تقرير المصير بعد سقوط الخلافة العثمانيّة من خلال معاهدة "لوزان" عام 1923، حيث تجاهلتْ تلك المعاهدةُ الحقوقَ القوميّةَ الكرديّةَ تمامًا، وساهمتْ معاهدةُ "سايكس بيكو" قبل ذلك في تشتيت شمل المناطق الكرديّة، عندما تقاسمت الإمبراطوريّتان الفرنسيّة والبريطانيّة المشرقَ العربيَّ على حساب تطلّعاتِ وآمالِ شعوب المنطقة في التّحرّر والاستقلال التّام..؟؟

وتمرُّ السّنواتُ الطّوالُ تِباعًا على تلك الأحداث والمعاهدات، ليجدَ عقلاءُ العربِ والفرسِ والتّركِ والكردِ أنفسَهم شركاء في هذا "الإرث الاستعماريّ"، ويحدّقوا جيّدا فيما حولهم فإذا هم بين خيارين أحلاهما مرّ؛ إمّا الإبقاء على الحدود لتستمرّ مأساةُ الشّعب الكرديّ، أو تحريكُ تلك الحدود ولا أحد يعلم عواقب ومخاطر ذلك..؟؟

إنّ النّخبةَ الواعيّةَ في تركيا اليوم، ومن خلال الإصلاحات التّي أقدمت عليها، تريدُ الوصولَ على ما يبدو إلى خيارٍ ثالثٍ وهو دولة المواطنة الكاملة التّي تحفظُ للأكراد حقوقَهم المشروعة وتضع نهايةً للمأساة، لكنّ الجهات المستفيدة من استمرار الصّراع لا يرضيها ذلك..

وَنُفُوذُ هَذِهِ الْجِهَاتِ وَاللُّوبِيَّاتِ الْمُسْتَفِيدَةِ مُصِيبَةٌ عَامَّةٌ تَشْتَرِكُ فِيهَا الْكَثِيرُ مِنَ الدُّوَلِ، فُهُنَاكَ فِئَاتٌ وَعَنَاصِرُ وَقِيَادَاتٌ **لاَ تُحْسِنُ السِّبَاحَةَ إِلاَّ فِي الْمُسْتَنْقَعَاتِ وَالْمِيَاهِ الْعَكِرَةِ،** وَلاَ تَعْرِفُ الابْتِسَامَةُ إِلَى شِفَاهِهَا طَرِيقًا إِلاَّ عَبْرَ مَآسِي وَمَصَائِبِ وَجِرَاحَاتِ الْآخَرِين..!!!

2008-10-23

أفْغَانِسْتَان وغِشَاوَةُ عُيُونِ الغُزَاة

في شهر جانفي عام 1842 كانت القوّاتُ البريطانيّةُ الغازيّةُ قد قرّرت الانسحابَ من العاصمةِ الأفغانيّةِ كابل صوب مدينة جلال آباد الأقرب إلى بلاد الهند حيث النّفوذ البريطانيّ المستحكم.. الجوعُ والبردُ والمسالكُ الوعرةُ ثلاثيٌّ تحالفَ مع رجال القبائل الأفغان على إفناء قوّات الملكة فيكتوريا بشكل كامل.

الانسحابُ البريطانيُّ جاء بعد ارتفاعِ موجةِ العداءِ للبريطانيّين في العاصمة كابل وعموم أفغانستان، ولم يكن دون تخطيطٍ مسبقٍ، فقد تمّ إبرامُ اتفاقٍ مع ثمانية عشر زعيم قبيلة أفغانيّة لضمان سلامة الحاميات البريطانيّة، ومع ذلك حدثَ ما لم يكن في حسبان (حَمَلَة رسالة الحضارة والتّمدّن) وكانت أسوأُ نكسةٍ في تاريخ حروب الإمبراطوريّة البريطانيّة، فقد تجاوزتْ حصيلةُ القتلى أكثر من اثني عشر ألف جنديّ، ولم ينجو من عناصر الجيش المنسحب سوى طبيبٍ ربّما تَرَكَهُ رجالُ القبائل ليروي التّفاصيلَ لبني جلدته..!!!

التّجربةُ البريطانيّةُ تكرّرتْ بعد ذلك في أفغانستان ولكنّها جُوبهت دائمًا بصلابة القبائل البشتونيّة وإصرارها على سلاحها وحرّيتها إلى أن انتهت سلسلةُ التّدخلات والكرّ والفرّ البريطانيّ باتفاقية (راولبندي) في 19 أوت عام 1919، ليصبح ذلك التّاريخُ عيدَ استقلالٍ لأفغانستان، وإن كانت الحقيقةُ أنّ البلادَ قد حافظتْ على نظافتها من أيّ احتلالٍ أجنبيّ شاملٍ منذ تأسيسها عام 1747م على يد أحمد شاه دُورَاني.

يتحدّثُ بعضُ المؤرّخين عن السّبب الذّي أدّى إلى ذلك الخطأ البريطانيّ في أفغانستان، وهو أنّهم خاضوا تجربةً اعتبروها ناجحةً في بلاد الهند عندما نفّذوا عمليةَ إخضاعِ الحكّامِ هناك منذ أواخر القرن الثّامن عشر وما بعده، وظنّوا أنّ الأمرَ ذاتَه ينطبقُ على الأفغان، كما افترضوا خطأً أنّ وجودَ حليفٍ أفغانيٍّ سيكون كافيًا لمساعدتهم في القيام بعملٍ عسكريّ ناجح.

مرّت الأيّامُ وتعاقبت السّنونُ وظلّ الأفغانُ، وخاصّةً قبائلهم البشتونيّة، على حالهم.. وتطوّرت الأحداثُ وتوسّعت خارطةُ التّحالفات مع الاتّحاد السّوفيتيّ لتصلَ إلى تدخّلٍ عسكريٍّ شاملٍ في 27 ديسمبر عام 1979، ولتبدأَ معه فصولٌ جديدةٌ في حياة الأفغان مع الحروبِ والسّلاح والغزاةِ الخارجيّين وحلفائهم المحليّين.

وبعد تسعِ سنواتٍ من الحربِ الضّروسِ لم يجد الرّوسُ، وامبراطوريّتهم السّوفيتيّة، بدًّا من الانسحابِ فكان خروجُ آخر جنديّ سوفيتيّ في 14 فيفري عام 1989، وظهرَ

لاحقًا أنّ الرّوسَ لم يفكّروا في ذلك الوقت، وقد لا يفكّروا خلال عدّة عقود، في النّظرِ إلى الوراء والعودة إلى تجربة حظوظ النّجاح في أفغانستان..!!

يرى البعضُ أنّ التّدخّلَ الرّوسيَّ في أفغانستان كان حركةً استباقيّةً زعزعتْ خططَ الولايات المتّحدة في المنطقة، وأخّرتْ دخولَ القوّات الأمريكيّة إلى أفغانستان قرابة العشرين سنة، وهو ما حدثَ بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 حين أسقطت القوّاتُ الأمريكيّةُ حكومةَ طَالِبَان، وأوصلت الرّئيسَ حامد كَارْزَيْ على ظهرِ دبّابةٍ إلى القصرِ الرّئاسيّ في كابل.

إذن كانت هناك أطماعٌ أمريكيّةٌ قديمة في أفغانستان، وبرزتْ تلك الأحداثُ المثيرةُ للجدل تخطيطًا وتوقيتًا وتنفيذًا وردودَ فعل، لتعطيَ للولايات المتّحدة الأمريكيّة الضّوءَ الأخضرَ نحو أفغانستان، وبشعاراتٍ لمّاعةٍ برّاقةٍ وآلةٍ إعلاميّةٍ ضخمةٍ تُحَسّنُ صورةَ الغزو الذّي جاء "لإنقاذ البلاد من براثن حكومة طالبان المتشدّدة"..!!

ووعدتْ واشنطن وأغدقتْ في وعودها، لكنّ الأوضاعَ لم تستقرّ وتدحرجت السّنواتُ بينما ظلّ الأمريكيُّ يراوحُ مكانَه في أفغانستان..؟؟

نعم هناك تدخّلاتٌ إقليميّةٌ ومصالحُ متضاربةٌ حول أفغانستان، وحتّى باكستان التّي تعلنُ قيادتها السّياسيّة دعمَها المطلق للخطط الأمريكيّة في المنطقة، تظلُّ لها حساباتها، خاصّة بعض أجهزة الدّولة التّي عملت واجتهدت حتّى أوصلت طَالِبَان إلى الحكم عام 1996 وظنّت أنّها أمّنت الحدودَ الغربيّة، فالعلاقاتُ الأفغانيّة الباكستانيّة ظلّت غير ودّية منذ تأسيس باكستان عام 1947.

إذن.. هناك عوامل خارجيّة لاستمرار الفشل الأمريكيّ في أفغانستان، لكنّ الحقيقةَ أنّ الأمرَ بالنّسبة للأفغان، والبشتون خصوصًا، لا يَعْدُو مجرّدَ جولةٍ من جولات الحروب والصّراعات مع الغزاة الأجانب..!!

إنّ الأفغانَ في قُرَاهُم ووديانهم وجبالهم النّائيّة لم يعرفوا شيئا من تسهيلات المدنيّة المعاصرة، وهم على عادتهم يشربون الشّاي ويأكلون خبز القمح والشّعير الذّي تجودُ به مزارعُهم البسيطة، ويحملون أسلحتهم فيشتبكون مع الغزاة، فإن انتصروا كان لهم ما

أرادوا، وإن عادوا بقتلى أقاموا لهم الجنائز وزيّنوا قبورَهم بالرّايات، وأضافوهم إلى قائمة الأبطال الذّين قضوا في الدّفاع عن بقاء البشتون أحرارا..!!

الرّئيسُ الأمريكيُّ الجديد بَارَاك أُوبَامَا بدا مصرًّا على رفع عددِ قوّاته في أفغانستان، بل وأعلنَ أكثر من مرّة أنّ تلك البلاد على رأس أولويّاته خاصّة وهو يهمّ بالخروج من العراق ليتركه لأهله كما يقول... والعارفون بالشّأن الأفغانيّ يقولون إنّ الأمر لن يغيّر من واقع الحال شيئًا، فالأفغانُ ليس لديهم ما يخسرونه أكثر مما خسروه في حروبهم السّابقة..!!

أمّا أُوبَامَا وإدارَتُه فوراؤهم رَأْيٌ عامٌّ يتحسّسُ من أيّ توابيت تصلُ من خارج الحدود، وكونجرس وصحافة حرّة، وخصوم جمهوريّون يترصّدون عثراتِ الدّيمقراطيّين، كما أنّ وراء وأمام أُوبَامَا دولةً مثل روسيا تطمحُ إلى إحياء ريادتها الإقليميّة والدّوليّة، وربّما الانتقام من الأمريكيّين بسبب دورهم في هزيمتها على يد الأفغان.. وحتّى الاتحادُ الأوروبيّ، حليفُ أُوبَامَا، قد لا يصبرُ طويلاً على دَوْرِ التّابعِ المطلق للسّياسة الأمريكيّة خاصّة حين يصبحُ مُرُّهَا أكثر من حُلْوِهَا.

مع ذكرى مرور عشرين عامًا على خروج آخر جنديّ سوفيتيّ من أفغانستان خرجَ الجنرال الرّوسيّ بوريس غروموف عن صمته، وقد كان آخر قائدٍ للقوّات السّوفيتيّة في أفغانستان، ونصحَ الولايات المتّحدة وحلف النّاتو: لا طائلَ من وراء الحلّ العسكريّ، لأنّ قرارَ موسكو قبل ذلك باجتياح أفغانستان كان خطأً سياسيًا كبيرا..

فَهَلْ تَصِلُ النَّصِيحَةُ إِلَى الْبَيْتِ الأَبْيَضِ، أَمْ أَنَّ الْغِشَاوَةَ سَتَفْعَلُ بِعُيُونِ الْأَمْرِيكِيِّينَ مَا فَعَلَتْهُ بِعُيُونِ الغُزَاةِ السَّابِقِين..؟؟

2009 -03-05

الرَّغْبَةُ الآثِمَة

وهكذا نأتي إلى نهايةِ هذا الكتابِ، كما يجبُ أن ينتهي أيّ كتابٍ آخر، منطلِقًا من الأرضيّةِ الثّابتةِ نسبيًا للتّاريخ المَحْضِ إلى المستنقعاتِ المُتَرَجْرِجَةِ للأمورِ الجاريّةِ حاليًا، تاركاً كثيرًا من الأسئلةِ الكبيرةِ بدون أجوبة..

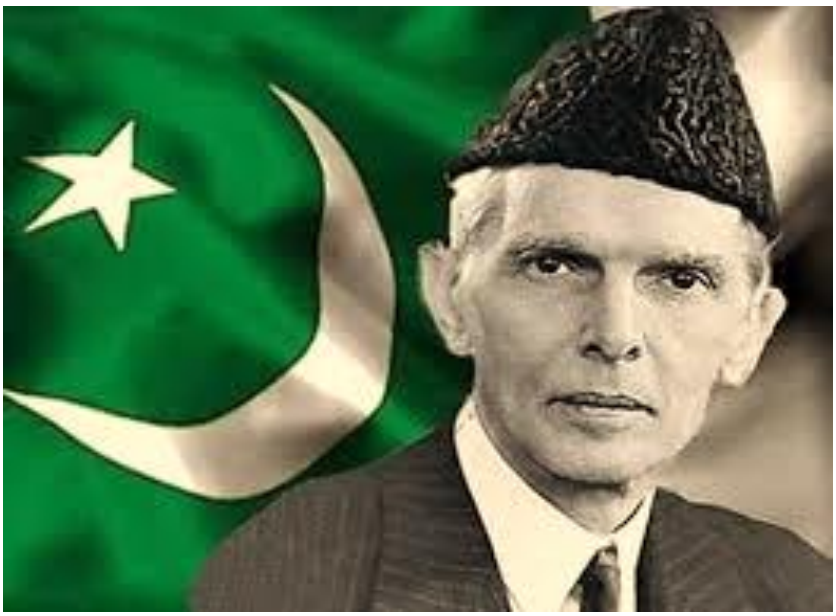

الجُملُ السّابقةُ تعودُ لكاتبٍ ومؤرّخٍ بريطانيٍّ هو إيان سْتِيفَنْز، وتاريخُ تدوينها هو الخامسُ عشر من ماي 1964، والسّياقُ الذّي وردت فيه تلك الكلماتُ الحائرةُ هو خاتمةُ كتابٍ موسومٍ بـ: باكستان.. بلدٌ قديم وشعبٌ جديد.. قصّةُ قيامِ باكستان وسنواتُها السّبع عشر الأولى.

الكاتبُ البريطانيّ المذكورُ كان على علاقةٍ وطيدةٍ بشبه القارّة الهنديّة حيث عاشَ فيها سنواتٍ طويلةً قبل التّقسيم وبعده، وقد تحدّثَ بإسهابٍ في كتابه عن نشأة دولة باكستان وما صاحبَها من تحدّيات، وتطرّقَ إلى إشكاليّة العلاقة بين الدّولتين الوليدتين الهند وباكستان خاصّة ما تعلّقَ منها بالخلافِ حول إقليم كشمير، وتناولَ أيضًا الخلافاتِ الباكستانيّة الدّاخليّة التّي أعقبت رحيلَ المؤسّس (قائد أعظم) محمّد علي جناح، حيث استمرّ الجدلُ لعدّة سنوات حول الدّستور، ومن هناك ظهرت المؤسّسةُ العسكريّةُ الباكستانيّةُ في صورةِ لاعبٍ أساسيٍّ في الحياة السّياسيّة...

وتعاقبت السّنونُ ولم تتبخّر الأسئلةُ التّي أشارَ إليها سْتِيفَنْز..؟؟

بل تزاوجتْ وتكاثرتْ، وظلّت باكستان تتدحرجُ بين حالتين اثنتين: حكومةٌ عسكريّة انقلابيّة أو ساسةٌ مدنيّون ينخرُهم الفسادُ إلاّ ما نَدَر..!!

والمشهدُ الباكستانيُّ الحاليُّ هو إحدى حلقات تلك السّلسلة المغلقة، لكنّ بدايته تعودُ إلى أواخر ثمانينيّات القرن الماضي حين كانت إحدى مراحل الحكم العسكريّ تضعُ أوزارَها وتفسحُ المجالَ لعودة "الدّيمقراطيّة"، وذلك بعد مقتلِ الرّئيس الجنرال محمّد ضياء الحقّ في حادثٍ غامضٍ أدّى إلى تحطّم طائرته أواخر عام 1988..؟؟

لم يَنْجَلِ دخانُ الطّائرة بعد حتّى ظهرت تلك الفتاةُ وعلى كَتِفَيْهَا "قميصُ" الرّئيس الرّاحل ذو الفِقَار علي بُوتُو الذّي أزاحَه الجنرال ضياء الحقّ عام 1977 وأعدمَه بعد ذلك.

إنّها بينظير بُوتُو، سليلةُ الإقطاع، عادت لتثأرَ لوالدها وتتزعّمَ حزبَ الشّعب..!!

وهكذا خاضتِ الانتخاباتِ التّشريعيّةَ في نوفمبر 1988، وحقّقَ حزبُها تقدّمًا مَكّنَهُ من تشكيل الحكومة.. وتابعَ العالَمُ حينها أوّلَ امرأة تَرْأَسُ حكومةً منتخبةً في العالَم الإسلاميّ.

في تلك الأثناء كانَ نواز شريف، سليلَ أسرةِ المالِ والأعمالِ، يُعِدُّ العُدَّةَ لصناعةِ مجدٍ سياسيّ له ولأسرته، واستطاعَ في أكتوبر 1990 اختطاف منصب رئاسةِ الوزراء من السّيدة بُوتُو خلال انتخابات مبكّرة، بعد أن أقدمَ الرّئيس غلام إسحاق خان على إقصاءِ بينظير وحكومتها تحت طائلة الاتّهام بالفساد.

وفي مطلع عام 1993 أقالَ الرّئيسُ الباكستانيُّ حكومةَ نواز، فأعادته المحكمةُ العليا إلى منصبه، لكنّه اضطرّ للاستقالة في جويلية من العام ذَاته.

وتعودُ الكَرَّةُ هذه المَرَّة للسّيدة بُوتُو، وحزب الشّعب، فتنجحُ في تشكيلِ حكومةٍ جديدةٍ اثر فوزها في انتخابات أكتوبر 1993، وعبر البرلمان ساهمت بُوتُو في اختيار فاروق لِيغَارِي رئيسًا للبلاد وهو أحدُ أعضاء حزبها، لكنّ الرّجلَ تمرّدَ عليها وأقالَها بموجب صلاحياته في نوفمبر 1996 بعد أن اتّهَمَهَا بالفساد وعدم الأهليّة..!!

وعاد نواز شريف بعد ذلك رئيسًا للوزراء من خلال انتخابات فيفري 1997..!!

وفي 12 أكتوبر 1999 أطاحَ الجنرال برويز مشرّف بحكومةِ نواز شريف لتدخُلَ البلادُ في مرحلة جديدة من مراحل الحكم العسكريّ المباشر، وصدرت في حقّ شريف أحكامٌ قاسيةٌ ثمَّ نُفيَ وأُسرته إلى الخارج..!!

وتطوّرت الأحداثُ ليلتقيَ الخصمان اللّدودان (بُوتُو وشريف) في لندن حيث المنفى الاختياريّ لهما، وصدرَ عنهما ما عُرِف بـ "ميثاق الدّيمقراطيّة"..!!

وبعد شدّ وجذبٍ مع سلطات مشرّف تمكّن الخصمان من العودة إلى باكستان عام 2007، لتلقَى بينظير حتفَها في حادثٍ طرحَ علاماتِ استفهامٍ عديدة..؟؟؟

أمّا نواز شريف فخاضَ الانتخاباتِ عبر حزبه (الرّابطة الإسلاميّة جناح نواز) إلى جانب حزب الشّعب غريمه التّقليديّ، وتمّت الإطاحةُ بالرّئيس برويز مشرّف بعد ذلك عبر تعاونِ نواز شريف وآصف زَرْدَارِي زوج الرّاحلة بوتو ووريث زعامتها السّياسيّة،

ومن ثمّ عادَ الحصمان مباشرة إلى ساحة النّزال الذّي تطوّرَ في الأسابيع الأخيرة وباتَ ينذرُ بعواقب خطيرة، إلاّ أنّ حكومةَ حزب الشّعب رضخت للشّروط، وأعادت القضاةَ المفصولين إلى مناصبهم وعلى رأسهم رئيس المحكمة العليا افتخار تْشُودْرِي.

يقول إيان سْتِيفَنْز في الفصل الثّامن عشر من كتابه المذكور آنفًا: "إنّ حرف (لو) في سياق التّاريخ هو شيءٌ آسر.. ولقد بدأت باكستان حياتَها المستقلّة بزعامةِ قائدٍ تمتّعَ بهيبةٍ ومقامٍ هائلين، وكلّ ما كان يطلبُه السّيد جَنَاح من شعبِه كان الأخيرُ يرضى به ويلبّيه في الأيّام الأولى من الاستقلال، ويمكنُ تشبيهه في هذا المجال بأتاتورك أو تِيتُو أو عبد النّاصر.. كان يتمتّعُ بسلطةٍ شخصيةٍ لا حدود لها من نوعٍ لم يستطع السّيد (نِهْرُو) أبدًا الوصول إلى مثله في الهند..!! أو ربّما لم يرغب بمثله..؟ بالإضافة إلى أنّ منصبَه خوّله ذلك، فلقد كان الحاكمُ العامّ لباكستان ورئيسُ مجلسها التّأسيسيّ في آن واحد، كذلك كان رئيسُ حزب الرّابطة الإسلاميّة.. ولكن لم يُمض في هذه المناصب أكثر من ثلاثة عشر شهرا بعد قيام باكستان إذْ وافته المنيّة.. ماذا كان سيحدثُ (لو) أنّه عاشَ مثلاً عشر سنوات أخرى..؟"

في خاتمه كتابه يقول إيان سْتِيفَنْز أيضا: "إنّ أوّلَ عنصرٍ لاَزِمٍ لحياة باكستان السّياسيّة هو سلطةٌ قويّةٌ تمثّلُ إلى حَدٍّ ما مبادئ الزّعامة والقيادة، فمزاجُ الجماهير يتطلّبُ ذلك، وعاداتهم وتقاليدهم تؤكّدُ ذلك، ويجبُ أن تكون الزّعامةُ مرئيّة وشخصيّة".

وَهَكَذَا تَتَجَدّدُ الْمُسْتَنْقَعَاتُ السّيَاسِيَّةُ وَتَتَضَرّرُ مِنْهَا الاغْلَبِيَّةُ الْفَقِيرَة... لِكَنَّ هَذِهِ الاغْلَبِيَّةَ ظَلَّتْ تَمْلأُ السَّاحَاتِ نُصْرةً لِلزَّعَامَات..!!! مَهْمَا كَانَت هَذِهِ الزَّعَامَات..!!!

إنّها تلك الرّغبة "الآثمة" التّي تعرقلُ دومًا مرورَ قطارِ دولةِ المؤسّسات في كثيرٍ من دول عالمنا الثّالث.

2009-03-19

آخِرُ الْقِلاَع..

عجيبةٌ وغريبةٌ بعضُ الأحداثِ في تَسَلْسُلِهَا وتَنَاسُقِهَا وخِدْمَتِهَا لِبَعْضِهَا البَعْض، حتّى يُخَيّلُ للمراقبِ أنّ وراءَها يدًا واحدةً نسجتْها وأوصلتْها إلى الهدفِ المقصود.. ومن بين تلكَ الأحداثِ ما عَرَفَتْهُ باكستان.. تلك الدّولةُ التّي ظلّت إلى نهايةِ العقدِ الأخيرِ من القرنِ العشرين تعيشُ نوعًا من السّلامِ والأمنِ والتّناغمِ بين الجميع حول عددٍ من الثّوابتِ والأهدافِ الوطنيّةِ العُلْيَا.

تتصاعدُ الأحداثُ بسرعةٍ بعد انقلاب الجنرال برويز مشرّف، عام 1999، على حكومةِ نواز شريف المنتخبة.. آمالُ الشّعب عموما والنُّخب الواعية خصوصًا ظلّت تتأرجحُ بين الخوف والرجاء.. خوفٌ من استبدادِ العسكريّين لسنوات طويلة كما فعلوا من قبل، ورجاءٌ في تحقيق تلك الوعود المعسولة التّي أطلقَها الجنرال مشرّف ودَغْدَغَ بها عواطفَ الجماهير وهو يتحدّثُ عن محاربة الفساد، ودولةِ العدالةِ والقانونِ، والطّلاقِ البَائِنِ مع الطّبقة السّياسيّة الفاشلة الفاسدة التّي سخّرت البلادَ لمصالحها الفئويّة والشّخصيّة.

وتأتي هجماتُ الحادي عشر من سبتمبر 2001 ويشاركُ الرّئيس الجنرال برويز مشرّف بقوّة، وربّما حماسة أيضا، في تلك الحرب التّي أعلنتْها أمريكا على طالبان والقاعدة في أفغانستان، وإن عادَ الرّجلُ وكشفَ بعد سنوات أنّه كان مُجْبَرًا فقط، وليس بَطَلاً كما قدّمَ نفسَه..!؟

لقد قال في كتابٍ أصدرَه إنّ الرّئيس جورج بوش هدّدَه بإعادة باكستان إلى العصر الحجريّ، إذا رفضَ الاشتراكَ في حملةِ الغضب والانتقامِ التّي قادَتها الولايات المتّحدة الأمريكية لردّ الاعتبار لسمعتها الأمنيّة والعسكريّة..!! المهمُّ أنّ الرّجلَ شاركَ في الحرب على أفغانستان، وتشبّثَ بالمشاريع الأمريكيّة التّي استهدفت المنطقةَ، وانغمسَ فيها بكلّ ما أُوتِيَ من جهودٍ وأنصارٍ، لكنّ شعبيّته تردّت مع مرور السّنوات، ليجدَ المسكينُ نفسَه خارج إطار اللّعبة ويكتشفَ أنّه شخصيةٌ غير مرغوب فيها..!!

لقد تخلّى عنه "الحلفاءُ" ليمتطوا أحصنةً أخرى رأوا أنّها أقدرُ على إيصالهم إلى أهدافهم الجديدة التّي بدت غاية في الطّموح، فبعد أن كان المطلوبُ أن تتعاونَ باكستان مع الولايات المتّحدة دون قيدٍ أو شرطٍ، صار رأسُ باكستان نفسه هو المطلوب، وظهرَ جليًّا أنّ القضاءَ على مقوّمات البقاء والتّفوّق في هذه الدّولة هو الاستراتيجيّة الجديدة القديمة للولايات المتّحدة الأمريكيّة.

جاءت الأحصنةُ الجديدةُ وكانت هذه المرّة سياسيّة وبريئة كلّ البراءة من أصحاب البدلات العسكريّة، والأسلحة والرّشاشات والاستعراضات..؟؟ عاد المنفيّون من

الخارج (بينظير بوتو + نواز شريف)... اتفقَ الخصمان اللّدودان على العودة إلى الوطن، والاستعداد لمرحلة ما بعد رحيل الجنرال مشرّف.. اتّفَقَا وهما اللّذان سبقَ وأن اتّفَقَا على أن لا يتّفقَا خلال مسارهما السّياسيّ التّنافسيّ الطّويل..!! مسارٌ ميّزَتْهُ الحدّةُ السّياسيّة حين تَدَاوَلاَ على كرسيّ رئاسة الوزراء، ومقاعد البرلمان الفيدراليّ والبرلمانات المحليّة.

وتستمرُّ وتيرةُ الأحداث بشكلٍ دراميّ مثيرٍ وكأنّنا نتابعُ فيلما هنديًا أو هوليوديًا..!! تلقى بينظير بوتو حتفَها في حادثٍ دمويّ، ويتبادلُ الفرقاءُ التّهمَ، وتتكفّلُ الأحداثُ المتسارعة بتقسيم دم الرّاحلة على أطراف الصّراع، ليدخلَ أرشيفَ القضاء الباكستانيّ ملفٌّ آخر ثقيل، ويكسبُ التّاريخُ لغزًا جديدًا من ألغاز الاغتيالات السّياسيّة الشّهيرة في الشّرق والغرب..؟؟ وفي خضمّ كلّ ذلك يصعدُ نجمُ آصف علي زَرْدَارِي، زوج الرّاحلة، بعد أن حاولت سنواتُ السّجنِ الطّويلةِ القضاءَ على مستقبله السّياسيّ..!!

لقد صعدَ نجمُ الزّعيمِ الأَرْمَلِ بعد غياب الزّوجة التّي كانت تمثّلُ الإرثَ السّياسيَّ لأسرة الزّعيم (ذو الفقار علي بُوتُو).. وتسارعت الأحداثُ وجاءت الانتخاباتُ من جديد ليفوزَ بها حزبُ الشّعب، ويستقيلَ الجنرالُ الرّئيس برويز مشرّف ليجدَ زَرْدَارِي نفسَه فوق أعلى أهرام باكستان، وهو رئاسة البلاد..!! ما حدثَ بعد ذلك كان متوقّعًا، فتاريخُ الرّئيس الجديد (زَرْدَارِي) كان "مشرّفًا" وسنواتُ السّجن الطّويلة بتهم الفساد كانت مؤهّلاً كافيًا بالنّسبة لواشنطن، وهكذا صارَ حليفها الجديد..!!

ولم يكن عند الرّجلِ ما يخافُ عليه أو يخشى من ضياعه.. وهكذا دخلَ اللّعبةَ بجميع أوراقه، ووضع يديه ورجليه بين مخالب الإدارة الأمريكيّة، لكنّ التّطوّرَ الخطيرَ هو ذلك المسار الذّي انحدرَ إليه الجيشُ الباكستانيُّ عندما دخلَ المعركةَ بكامل قوّاته، واشتبكَ في قتالٍ ضارٍ مع ما صارَ يُعْرَفُ بطالبان باكستان في وادي سْوَاتْ أوّلا، ثمّ مناطق وزيرستان القَبَلِيّة..!!

لقد ظهرت النّوايا والمخطّطات الأمريكيّة بوضوح خاصّة في معارك وزيرستان، فعندما دخلَ الجيشُ الباكستانيّ المنطقةَ قامت القوّات الأمريكيّة في أفغانستان بإخلاء عدد

من مواقعها الحدوديّة لإفساح الطّريق أمام طالبان أفغانستان وأنصارهم الباكستانيّين للعودة إلى باكستان وقتال الجيش هناك..!! الخطّةُ إذن هي اختلاطُ الحابلِ والنّابلِ بين الباكستانيّين والأفغان ليلتقطَ الأمريكيّون أنفاسَهم ويعيدوا حساباتهم.

لقد تواصلت المساعي الأمريكيّة، على ما يبدو، حتّى أوقعت الجيشَ الباكستانيَّ في وحل المعارك الدّاخلية، ومن هناك يمكن لواشنطن أن تحتفلَ بإنهاء تلك الأسطورة والقضاء على آخر القلاع الحصينة؛ فالجيشُ كان المؤسّسة الأقوى في باكستان والضّامن شبه الوحيد لوحدة البلاد، فأغلبُ السّياسيّين قد أدمنوا الفساد والانقسام حول كلّ شيء، ومقاطعات البلاد الأربعة مختلفة ثقافيًّا ولغويًّا وعرقيًّا، إضافة إلى الأطماع الانفصاليّة التّي يتساوى فيها البشتون والبلوش والسّنود..!!

يمكن لأمريكا أن تفعل ما تشاء بما تشاء ففلسفة سياستها الخارجية واضحة تماما، ودماء الشّعوب هي آخر ما تفكّر فيه عندما تتعارضُ مع مصالحها، لكنّ السؤال يتّجه نحو الفاعلين الأساسيّين في باكستان خاصّة في مؤسّسة الجيش، وكيف سمحوا بهذا المنزلق..؟؟ لأنّ طالبان، بشقّيها الأفغانيّ والباكستانيّ، صناعةٌ رسميّةٌ، أو شبه رسميّة على الأقلّ، فكيف وافقوا على توجيه أشرعة سفينة البلاد بهذا الاتجاه..؟؟

لَقَد اشْتَرَكَ بَرْوِيزْ مُشَرَّف فِي الْحَرْبِ الامْرِيكِيَّة عَلَى أَفْغَانِسْتَان حَتَّى يُجَنِّبَ بِلاَدَهُ الْغَضَبَ الامْرِيكِيَّ وَالْعَوْدَةَ إِلَى الْعَصْرِ الْحَجَرِيّ، لَكَنَّ عَشْرَ سَنَوَات مِنَ الانْغِمَاسِ الْبَاكِسْتَانِيّ مَعَ الْمُخَطَّط الامْرِيكِيّ **لَمْ تَكُنْ مُقْنِعَةً عَلَى مَا يَبْدُو لِلْعَمّ سَام**، فَمَا يَسْعَى إِلَيْهِ عَبْرَ زَرْدَارِي وَثُلَّتِهِ قَدْ يَدْفَعُ الْبِلاَدَ إِلَى مَا قَبْل الْعَصْرِ الْحَجَرِيّ.

2009 -11-07

عَوْدَةُ الصَّيَّادِين المَشْبُوهِين

العودةُ إلى المربّع الأوّلِ، وخلطُ أوراقِ اللّعبةِ من جديد، وتقويضُ جميع الجهود المخلِصَةِ الرّاميةِ إلى تضميدِ جراحاتِ سنينَ طويلةً من الصّراع... هل هو ما تريدُه المحكمةُ الدّستوريّةُ العليا في تركيا، وقد تابَعَهَا العالَمُ أجمع وهي تقرّرُ بالإجماعِ حظرَ حزبِ المجتمع الديمقراطيِّ (الكرديّ) ومنعَ قيادَاتِه من ممارسةِ العملِ السّياسيّ.

دعوى حظرِ حزبِ المجتمعِ الدّيمقراطيّ أخذت طريقهَا إلى المحكمةِ الدّستوريّةِ العليا منذ أواخر عام 2007، وصَاحِبُ الدّعوى هو كبيرُ ممثّلي الادّعاءِ التّركيّ الذّي حاولَ أيضا العام الماضي إيقافَ حزبِ العدالةِ والتّنميةِ الحاكِمِ بدعوى مخالفته للدّستور العلمانيّ للبلاد.

ورغم التّباينِ الواضِحِ بين مناهِجِ ومشاربِ ومواقعِ الحزبيْنِ المُسْتَهْدَفَيْنِ فإنّ جهاتٍ نافذةً في كيَانِ الدّولة التّركيّة، على ما يبدو، تحملُ الخصومةَ ذاتَها للاثنين، وقد يكون السّببُ هو ذلك الإنجازُ المستقبليُّ المتوقّعُ من الحزبيْن، والمتمثّل في زحزحةِ القضيّةِ الكرديّةِ في تركيا عن موقعها الحاليّ الجامدِ منذ عقود طويلة، والسّير بها نحو آفاقٍ أرحب بَرْهَنَ حزبُ العدالة والتّنمية التّركيّ الحاكم على أنّه يؤمنُ بها، وبقدرةِ الشّعب التّركيّ على الوصول إليها.

قرارُ الحظرِ كان مفاجئًا إذا وضعنَا في الاعتبار تلك الجهود الحثيثة التّي بذلتها الحكومةُ التّركيّةُ خلال السّنوات الماضية، وإن كانت غير كافية خاصّةً في نظر الأكراد، فقد شقّت أخاديدَ متعدّدةً داخل جبل الجليد الذّي يحجزُ بين الأكراد والأتراك في محاولة لتهيئة الأجواء نحو الوصول إلى تسويات سياسيّة تحفظُ الحقوقَ والحدودَ، وتُخْمِدُ إلى الأبد أصواتَ البنادقِ والبنادقِ المضادّة.

نعم إنّه قرارٌ مفاجئٌ عند النّظرِ من تلك الزّاوية، لكنّه قرارٌ "طبيعيّ" عند النّظرِ من زوايا أخرى، بل وينسجمُ مع التّطوّرات الميدانيّة الأخيرة حيث ازدادت العمليّاتُ العسكريّةُ التّي تُنسبُ إلى مقاتلي حزب العمّال الكردستانيّ جنوب شرقيّ تركيا.

قرارٌ طبيعيٌّ عندما ندركُ حساسيةَ حزبِ العمّالِ وتاريخَه الدّامي مع الجيش التّركيّ وآلاف الضّحايا الأبرياء الذّين سقطوا بسبب الصّراع، سواء بقصفِ الجيش وتمشيطه لمناطق الأكراد وهو يطاردُ المقاتلين، أو بتفجيراتِ الحزبِ وعمليّاته في المدن التّركيّة وما ينجمُ عنها من سقوط مدنيّين أبرياء.. حساسيّةٌ تجعلُ القرارَ طبيعيًّا لأنّ التّهمةَ الرّئيسيّةَ

الموجّهةَ للحزبِ المحظورِ هي العلاقةُ مع حزبِ العمّال الذّي ينعتُه الرّسميّون، والإعلام التّركيّ، بالإرهابيّ، ويقضي زعيمُه عبد الله أوجلان عقوبةَ السّجن المؤبّد في إحدى الجُزُر التّركيّة.

والقرارُ طبيعيٌّ أيضًا إذا أدركنَا أنّ ازديادَ الهجماتِ في جنوبِ شرقيّ البلاد خلال الآونة الأخيرة مؤشّرٌ على تصاعدِ حدّة الصّراعِ من جديد، ومن ثمّ القفز مرّةً أخرى على جميعِ الخطوات الإيجابية وقراراتِ حُسْنِ النّوايا التّي أقدمَ عليها الرّئيسُ التّركيُّ عبد الله غُول وحكومةُ رجب طيّب أردوغان.. طبيعيٌّ لأنَّ عودةَ العمليّات وحدها لن تكون كافيةً لتأجيج الصّراع وإعادته إلى نقطة البداية (عام 1984) حين انتقلَ حزبُ العمّالِ الكردستانيّ اليساريّ النّزعة من العمل السّياسيّ إلى ميادين النّزال المسلّح.. ولأنّها غيرُ كافيةٍ فإنّ قرارَ حلِّ حزبِ المجتمعِ الدّيمقراطيّ، بِغَضِّ النّظرِ عن صحّةِ الدّعوى أو عدمها، سيكونُ له نصيبُ الأسدِ في تحريكِ الشّارعِ الكرديّ من جديد وشحنِ الأجواءِ وتوفيرِ ذلك المناخ المناسب جدًّا لعودةِ العنفِ والعنفِ المضادّ، وأصواتِه الصّاخبةِ التّي تَعْلُو على أصواتِ دعاةِ الحكمةِ والعقلِ والتّقريبِ بين وجهات النّظر، للوصولِ إلى مرحلةِ التّفاهمِ والتّعايشِ ودولةِ القانونِ والمواطنةِ الكاملة.

القرارُ طبيعيٌّ إذن عندما نضعُ في الاعتبار أنّ القضيةَ الكرديّةَ في تركيا، وبجميعِ أبعادها السّياسية والعسكريّة، كانت ولا زالت تمثّلُ "مبّررَ وجودٍ" و"ميدانَ عملٍ ونشاطٍ" لجهاتٍ تركيّةٍ قوميّةٍ أدمنت إقصاءَ الآخرين والانتقاصَ من حقوقهم وإرغامهم على الانتماءِ إلى غير ما يعرفون من حقائقِ التّاريخ، والنّطقِ بغير الألسنة التّي جُبِلُوا عليها..!!

لقد مثّلت القضيّةُ الكرديّةُ أحدَ وجوهِ اللّعبةِ السّياسيّةِ في تركيا، ومن خلال طُرُقٍ ملتويةٍ لم تكن بريئةً في أغلب الأحيان، ولأنّ حكومةَ حزبِ العدالةِ والتّنميّةِ الحاكمِ الآن في تركيا تحملُ من الخلفيات ما يجعلُها مؤهّلةً لبعض الإنجازات في القضيّةِ الكرديّة، ظلّت خلال السّنوات الماضيّة تتلقّى كميّاتٍ معتبرةً من النّقدِ واللّومِ والتّخويفِ كلّما

قطعت خطوةً، ولو رمزيّة، في اتجاهِ السّيرِ إلى نقطةِ المنتصفِ التّي يمكنُ أن يجتمعَ عليها الأتراكُ والأكرادُ داخل الجمهوريّة التّركيّة.

ما قام به حزبُ العدالةِ والتّنميّةِ خلال السّنوات الماضيّة لم يكن وليدَ صدفة؛ فالأرضيّةُ الثّقافيّةُ والفكريّة التّي ينطلقُ منها الحزبُ تنظرُ إلى الخرائطِ السّياسيّةِ الحاليّةِ في المنطقة على أنّها موروثٌ استعماريّ، وقياداتُ الحزب، حتّى وهي في أعلى هرم السّلطة، تشبّعتْ يومًا ما بعداوةِ الاستعمارِ وما خلّفَه من اتفاقياتٍ وحدودٍ قسّمت الشّعوبَ دون وجهِ حقٍّ أو عدلٍ وأسّست لنزاعاتٍ ظلّت تتجدّدُ بصورٍ متعدّدة.

وعليه فإنّ تلك النّظرة المتشدّدة تجاه الأكراد، والتّي يلتزمُ بها القوميّون الأتراك، لن تكون لدى قياداتِ العدالةِ والتّنمية بأيّ حالٍ من الأحوال، بل إنّ روحَ التّسامحِ والتّقاربِ هي التّي تسيطرُ على النّوايا والسّياسات والقرارات تجاه المنطقة الكرديّة، حتّى لو أوردت وسائلُ الإعلام تصريحاتٍ من هنا وهناك تظهرُ أنّ "القوم" في قطارٍ واحدٍ مع المتشدّدين المتمسّكين بحرفيّة الدّولة التّركيّة تحت ذلك المفهوم الذّي تركَها عليه المؤسّسُ مصطفى كمال أتاتورك عند وفاته عام 1938.

تلك الخلفيّة (الخطيرة) التّي ينطلقُ منها حزبُ العدالة والتّنميّة دفعتْ بقايا "الحرس القديم" في الدّولة التّركيّة إلى قرارِ الحظرِ الذّي طالَ حزبَ المجتمعِ الدّيمقراطيّ الكرديّ.

حَظْرٌ سَيُسَاهِمُ فِي زِيَادَةِ رُقْعَةِ المِيَاهِ العَكِرَةِ فِي المِنْطَقَةِ **وَيَدْفَعُ الصَّيَادِينَ المَشْبُوهِينَ إِلَى مُعَاوَدَةِ نَشَاطَاتِهِم القَذِرَةِ**، وَيَرْفَعُ مِنْ أَسْهُمِ الخَوْفِ وَيَجْعَلُهُ سَيِّدَ المَوْقِفِ مِنْ جَدِيدٍ بِالنِّسْبَةِ لِلْأَتْرَاكِ وَالْأَكْرَادِ عَلَى حَدٍّ سَوَاء.

2009 -12-19

فِي ضِيَافَةِ الأَعْدَاء

ربّما كانت الصّدفةُ وحدَها هي التّي جعلت زيارةَ الرّئيسِ الإيرانيِّ محمود أحمدي نَجَاد لأفغانستان تتقاطعُ زمنيًّا مع زيارةِ أحدِ أبرَزِ أعدائِه وهو وزيرُ الدّفاعِ الأمريكيّ المُخَضْرَم رُوبِرْت غِيتْس، ذلك الرّجلُ القويّ الذّي عملَ في إدارةِ الرّئيسِ الجمهوريّ جُورْج بُوشْ، ثمّ طلبَ منه الرّئيسُ الدّيمقراطيُّ بَارَاك أُوبَامَا البقاءَ في منصبِه.

وزيرُ الدّفاعِ الأمريكيّ غادرَ العاصمةَ الأفغانيّةَ كابل، خلال زيارَته قبل أيّام، بعد فترةٍ وجيزةٍ من هبوطِ طائرةِ الرّئيسِ الإيرانيّ، ويَبْدُو أنَّ الرّجلَ تفطّنَ إلى تلك المفارقةِ التّي ستفتحُ أبوابًا من الجدلِ وتعيدُ الحديثَ عن العلاقات الأمريكيّة الإيرانيّةَ إلى الواجهة..؟

انتبه غِيتْس إلى المفارقةِ عندما وصفَ توقيتَ زيارة الرّئيس أحمدي نَجَاد بأنّه "يغذّي أفكارَ أصحاب نظريّات المؤامرة".

زيارةُ الرّئيس الإيرانيّ إلى أفغانستان تشابهتْ مع زيارةٍ سابقةٍ إلى العاصمةِ العراقيّةِ بغداد، ووجوهُ الشَّبَهِ كثيرةٌ ومنها أنّ الرّجلَ كان في الحالتين ضيفًا مكرّمًا معزّزًا على الولايات المتّحدة الأمريكيّة في حقيقة الأمر..!!

فبعد استبعاد الشّعارات والبيانات والتّصريحات التّمويهيّة المضلّلة؛ ندركُ بسهولةٍ أنّ زمامَ الأمرِ في كِلاَ الدّولتين، أفغانستان والعراق، ما زال في يدِ القوّات والمخابرات الأمريكيّة بشكل أو بآخر، مهما طالَ الحديثُ وتشعّبَ عن الانتخابات هنا أو هناك، وعن قوّاتِ جيشٍ وشرطة ووزاراتِ دفاعٍ وداخليّةٍ، وغير ذلك من الدّيكورات التّي تتقنُ القوى الأجنبيّة التّستّرَ وراءها والعملَ من خلالها وخداعَ الشّعوب بها.

إنّ المنطقةَ الخضراء التّي زارها الرّئيسُ الإيرانيّ في بغداد كانت محميّةً أمريكيّة بكلّ المقاييس، ومحيطُ القصر الجمهوريّ في العاصمة كابل مُحاطٌ بقوّات حلف شمال الأطلسيّ النّيتو، والقوّاتُ الأمريكيّة، حتّى لو بدت الوجوهُ الأمنيّةُ الظّاهرة في المشهد أفغانيةً خالصة.

وزيارةُ أحمدي نجاد لأرضٍ تحت الاحتلال الأجنبيّ تعيدُ الحديثَ عن العلاقات الأمريكيّة الإيرانيّة، والتّنسيق الذّي حدث، حسب رأي البعض على الأقلّ، بين العَدُوّيْنِ اللّدُودَيْن خلال الحرب الأمريكيّة على أفغانستان عام 2001، وإبّان الهجوم على العراق عام 2003 وما تلاهما من أحداثٍ سياسيّةٍ وعسكريّةٍ مثيرة للجدل..؟؟

وهذا الحديثُ قديمٌ، وربّما يعودُ إلى السّنوات الأولى للثّورة الإيرانيّة، وخلال حياةِ الزّعيمِ المؤسّسِ والمرشدِ الأعلى آية الله الخُمَيْنِي الذّي أطلقَ وصفَ الشّيطان الأكبر على

الولايات المتّحدة الأمريكيّة، وظلّ محافظًا في حياته على شعاراته المعادية للغرب، والمندّدة بنفوذه ومحاولاته السّيطرة على مجريات السّياسة الدّوليّة.

لقد بدأت القّواتُ الأمريكيّة هجومَها على أفغانستان بعد أسابيع من هجمات الحادي عشر من سبتمبر على نيويورك وواشنطن، وكان في مقدورِ الطّرفِ الإيرانيّ فعلَ شيءٍ ما لإعاقة تلك الحملة بشكل أو بآخر، أو جعلها أكثر كلفة على الأقلّ بالنّسبة للجانب الأمريكيّ، لكنّ الذّي حدث أنّ طهران غضّت الطّرف..؟؟

وأكثر من ذلك: ساهمت بشكلٍ غيرِ مباشرٍ في الحرب حسب الأسرار التّي بدأت تخرجُ من وراء الكواليس، بعد قرابة عشر سنوات من تلك الأحداث الدّاميّة..؟؟

وفي العراق تكرّرَ السّيناريو وكان أكثر سفورا حين اتّضح للجميع أنّ حلفاء طهران من العراقيّين، أو أبناءَها الخلّص الذّين ربّتهم على عينها كما يرى البعض، قد انخرطوا في عمليّة الغزو بجميع مراحلها وسهّلوا الأمرَ على القوّات الغازيّة، ووفّروا لها الغطاء السّياسيّ بعد ذلك وجرّموا من يقاومُها، ولاحقوه في الشّمال والوسط والجنوب..!!

وحتّى لو تفهّمنا شِبْهَ العذر الذّي يتعلّقُ به العراقيّون المتحالفون مع الاحتلال وهو طول معاناتهم وإقصائهم من النّظام السّابق، وعجزهم عن إسقاطه بمفردهم، وتوفّر الفرصة لإزاحة نظام البعث الذّي دام عشرات السنين..!!

حتّى لو تفهّنا ذلك... فإنّ العذرَ اندثرَ بعد ذلك حين استتبَّ الأمرُ للسّياسيّين المُوَالِين لإيران، وصارت مليشياتهم تصولُ وتجولُ خاصّة في الجنوب العراقيّ، وكان بمقدورهم هناك مضايقة قوّات الاحتلال، ومن ثمّ تحقيق بعض شعاراتهم التّي تحدّثتْ سنوات طويلة عن الشّيطان الأكبر وجرائمه ومشروعيّة شنّ الحرب الإعلاميّة والاقتصاديّة والعسكريّة عليه.

في ختام زيارته للعراق سابقًا ولأفغانستان خلال الأيّام الماضية، كرّرَ الرّئيسُ الإيرانيُّ محمود أحمدي نجاد دعوةَ بلاده لانسحاب القوّات الأجنبيّة، وحَمّلَهَا أكوامَ الفشلِ والإخفاقاتِ والمشاكلِ والاضطراباتِ، وقدّمَ نفسَه وبلادَه بتلك الصّورة الملائكيّة الصّافية التّي تشدّ النّاظرين إليها..!!

بلادٌ تساعدُ جيرانَها لوجه الله فقط، ولا تريدُ من وراء ذلك جزاءً ولا شكورا..!!!

إنّ الحقيقةَ صارتْ ساطعةً مثل ضوءِ الشّمسِ في رابعة النّهار، ووجودُ علاقاتٍ وتفاهمات بين الإيرانيّين والأمريكيّين لم تَعُدْ في حاجةٍ إلى أدلّةٍ، خاصّة بعد التّسريباتِ الإعلاميَّة التّي ظهرت في فتراتٍ سابقة، وما زالت تظهرُ من حين لآخر.

والحقيقةُ الثّانيةُ أنّ لإخواننا الإيرانيّين كلَّ الحقِّ في اللّعبِ بما شاؤوا من الأوراق السّياسيّة والعسكريّة والأمنيّة ما دام الميدانُ مفتوحًا للجميع، وخصوصا لأولئك الذّين قدموا من وراء البحار، وتحرّكوا من أراضي تبعدُ عن أفغانستان أكثر من عشرة آلاف كيلومتر..!!

لإخواننا كلّ الحقّ... شريطة أن يتوبوا عن خِدَاعِنا، ويرحمونا قليلاً من مزايداتهم بقضيّتنا المركزيّة، مع تسليمنا بأنّ قضيّة فلسطين أكبر من أن تظلَّ عربيةً، وأنّ من حقّ كلّ مسلمٍ أن يدعمَ الحقّ الفلسطينيَّ في الأرضِ والصّمودِ والمقاومة.

والحقيقةُ الثّالثةُ أنّ علينا، شئنا أم أبينا، أن نقدّرَ الدّورَ الإيرانيَّ، ولو بحذر، بعد أن ظهرت رؤيةُ واستراتيجيّة القومِ التّي يعملون من أجل الوصول إليها، رغم العثرات الكثيرة التّي تبدو عليهم داخليًّا وخارجيًّا..!!

يَتَحَرَّكُونَ بِذَلِكَ الْعَزْمِ وَالْوُضُوحِ لِأَجْلِ مَصَالِحِهِم الْقَوْمِيَّة.. بينما يظلُّ العربُ الرّسميّون، أو أغلبهم على الأقلّ، تائهين دون وزنٍ سياسيّ أو عسكريّ، تَتَقَاذَفُهُم أمواجُ مصالح دوليّة وإقليميّة، وتشكّلُ منهم مشهدًا مضحكًا مبكيًا، لا يسرُّ صديقًا ولا يغيظُ عدوًّا.

2010-03-13

دُرُوسٌ تُرْكِيَّة

تغطّي خطوطُ المِيتْرُو والتّرُومْوَاي في مدينة اسطنبول التّركيّة مسافةَ مائةٍ وثمانيةٍ وأربعين كيلومترا، وتستمّرُ الأشغالُ في هذا المجالِ الحيويّ لتتضاعفَ المسافةُ خلال العام القادم، أمّا الرّؤية خلال السّنواتِ الخمسِ القادمةِ فيحدّدُها القائمون على المدينةِ، والحكومة ومؤسّساتها، بسبعمائة كيلومتر.. ويضافُ إلى كلّ هذه الإنجازات مشروعُ تِلِفْرِيك يصلُ الجانبَ الآسيويّ بالأوروبيّ، وخدماتُ التّاكسي المائيّ وآثارُه الإيجابيّة في تخفيفِ الازدحامِ البرّي.

رئيس إحدى أكبر بلديّات اسطنبول، العاصمة الاقتصاديّة والثّقافيّة والسّياحيّة لتركيا، قال إنّ سبعةً من بين كلِّ عشرة أشخاص في بلديّته صوّتوا له ولحزبه الذّي يفوزُ في الانتخابات البلديّة بتلك النّاحية للمرّة الثّالثة على التّوالي.. فما هو الدّافع..؟؟

هل هو الولاء الأيديولوجيّ والتّعصبّ الحزبيّ..؟ أم هو الرّضا عن الخدمةِ المقدّمةِ خلال العُهْدَاتِ الماضيّةِ والرّغبة في استمرارها..؟؟

الفائزون في عددٍ كبيرٍ من البلديّات التّركيّة كانوا قد تحدّثوا للمواطنين، أثناء الحملة الانتخابيّة، عن مواقف السّيارات الجديدة، والحدائق الواسعة الغنّاء، والقرى الرّياضيّة والثّقافيّة والاجتماعيّة.. أي أنّهم انتقلوا من مرحلة الخدمات الأساسيّة إلى التّرفيهيّة.. فكيف لا يعيدُ المواطنُ انتخابَهم..؟؟

ويتحّدثُ الكثيرُ من أهالي اسطنبول، كما نقلت وسائل الإعلام بمناسبة الانتخابات البلديّة الأخيرة، عن السّنوات التّي سبقت وصولَ رجب طيّب أردوغان إلى منصبِ العمدةِ في هذه المدينة الآسيويّة الأوروبيّة:

كانت التّحدّيات متراكمة في مجالات النّظافة وجمع النّفايات المنزليّة، والصّرف الصّحيّ، والمواصلات العامّة، ومياه الشّرب وغيرها.. ويتحدّثُ بعضهم بثقةٍ عاليّةٍ يزعمُ معها أنّ الجيلَ الجديدَ لا يعرفُ شيئا عن مشاكلِ مدينةِ اسطنبول الماضية، لأنّ معظمَ المعضلات الخدميّة قد تلاشت..!!

وهكذا.. فازَ حزبُ العدالة والتّنميّة الحاكم في تركيا في الانتخابات البلديّة التّي حملت نكهةَ الانتخابات البرلمانيّة، وحتّى الرّئاسيّة التّي ستجري بعد أشهرٍ، ولأوّل مرّة عبر الاقتراع العام المباشر، وقد يترشّحُ فيها رئيسُ الوزراء الحاليّ رجب طيّب أردوغان، ويظلُّ في كرسيّ الحكم عهدتين متتاليتين، وربّما احتفلَ بالذّكرى المئويّة الأولى لسقوط الإمبراطوريّة العثمانيّة بشكلٍ مُغَايرٍ لما أرادُه مصطفى كمال أتاتورك، على حدّ تخمينات كاتبٍ عربيٍّ برعَ من خلال مقالاته في التّحامُلِ على النّهضة التّركيّة الرّاهنة..!!

الدّرسُ الأوّلُ الذّي ينبغي أن نتعلّمه في العالم العربيّ، من خلال التّجربة التّركيّة، هو الدّولة ومؤسّساتها واحترام صندوق الانتخاب مهما كانت درجة الخصومة السّياسيّة من جهة، ومستوى الخسارة الانتخابيّة من جهة ثانيّة..

فالأتراكُ قد وصلوا إلى مرحلةٍ متقدّمةٍ من النّضج والوعي دفعتهم إلى الإعراض عن الدّعوات الانقلابيّة بأيّ شكلٍ من الأشكال، ولو حملتْ شعارات محاربة الفساد وحماية الدّولة.. فالصّندوقُ متاحٌ وشفّافٌ فما الدّاعي لسماعِ أولئك الذّين يَهرفون بما لا يعرفون، ويتحدّثون عن شعبيّةٍ بعشرات الملايين.. فأين هم يوم الانتخاب..؟؟

والدّرسُ الثّاني حول وسائل الإعلام وقدرتها الخارقة على إسقاط عددٍ من الأنظمة العربيّة خلال ثورات الرّبيع العربيّ... ووجهُ المقارنة هنا أنّ خصومَ حزب العدالة والتّنمية، القدامى والجدد، يملكون وسائلَ إعلامٍ ضخمةً في تركيا حاولت إضعافَ شعبيّة الحزب الحاكم بشتّى الطّرق، لكنّ رياحَ صناديق الانتخابات جاءت على غير هوى مؤسّسات إعلاميّة داخليّة وخارجيّة تمنّتْ بحرارة أن تمثّلَ الانتخاباتُ البلديّةُ التّركيّةُ ضربةً قاضيةً لرجب طيّب أردوغان وحزبه.

انتبهوا يا سادة.. وسائلُ الإعلام لا تسقطُ إلاّ الحكومات والأحزاب التّي عملتْ (بإخلاص) لهذا المصير، عندما ظلّت تغرّدُ في وديانٍ بعيدة عن تطلّعات الشّعوب وآمالها.

والدّرسُ الثّالثُ يقودُنا إلى ثقافةِ الخدمةِ وتقديمها لجميع المواطنين، مهما كانت توجّهاتهم الحزبيّة وأصولهم الاثنيّة، وميولهم الإيديولوجيّة... فالمسؤولُ في الدّيمقراطيّات النّاضجة ينظرُ إلى الجميع بعينٍ واحدة حين يتربّعُ على كرسيّ المسؤوليّة، حتّى لو عَلِمَ أنّ نسبةَ المعارضين تقاربُ نسبةَ المؤيدّين له، حيث فازَ بفارق أصواتٍ بسيط.

وعلى هذا الأساس قدّم الحزبُ الحاكمُ في تركيا خدماته لجميع المناطق على حدّ سواء، فراحت انتصاراته تتوالى في الانتخابات البرلمانيّة والبلديّة، وربّما تتضّحُ أكثر في الرّئاسيّات القادمة خاصّة إذا تراجعت حدّة خطابات أردوغان ضدّ خصومه، وعاد إلى نهجه التّوافقيّ المعهود.

والدّرسُ الرّابع والأخير مهمّ للغاية خاصّة لعددٍ من حكوماتنا العربيّة التّي أدمنتْ على خطيئة تصديرِ المشاكلِ نحو الخارجِ، واصطناعِ الأعداءِ الوهميّين وتحميلهم مسؤولية الفشل المتراكم لعشرات السّنين..!!

يا سادة: قدّموا خدماتٍ ملموسةً لشعوبكم، ورسّخوا قواعدَ اللّعبةِ الدّيمقراطيّة، وفُكُّوا ذلك الارتباط الأبديّ بينكم وبين الكراسي، ولستم في حاجة بعد ذلك إلى الحديث عن أميرِ دولة قطر وأردوغان والشّيخ القرضاوي وقناة الجزيرة وثورات الرّبيع العربيّ.. لأنّ المواطنَ سوف يعاينُ الخيرَ والأمنَ بأمّ عينيه، ولن يحتاجَ إلى سماع هذا الطّرف أو ذاك.. فـ "ليس الخبرُ كالمعاينة"..

فازَ الحزبُ الحاكم في تركيا من جديد عندما شعرَ المواطنُ التّركيُّ بقفزةٍ نوعيّةٍ في تاريخ بلاده، لقد تغيّرَ الحالُ تماما.. كان هناك جيشٌ يملكُ دولةً، فصارَ للدّولةِ جيش..!! وكانت مواردُ البلادِ تتّجه نحو حربِ استنزافٍ تستفيدُ منها مجموعةٌ محدودةٌ من المتربّعين على عرش صناعة القرار، فجاء أردوغان وضيّقَ من دائرةِ الحربِ حتى أوشكتْ على وضع أوزارها بالكاملِ.. وهلمّ جرّا..

لقد تعالت الزّغاريدُ في أروقة الاستبداد العربيّ حين استمرت مظاهراتُ المعارضة في تركيا الصّيف الماضي، وكان السّببُ المباشرُ هو (ميدان تقسيم) واقتلاع السّلطات لعدد من الأشجار..!! وتغافلَ سدنةُ الاستبداد، من الإعلاميّين على وجه الخصوص، عن تأثير سخريّة أردوغان من خصومه عندما قال إنّهم يحتجّون من أجل شجيرات، ويتجاهلون قرابة الثّلاثة ملايير شجرة غُرست خلال السّنوات العشر الأخيرة..!! كما تَبَاشَرَ هؤلاء السّدنة بأخبار الفساد التّي حامت حول حكومة العدالة والتّنمية، **وَتَجَاهَلُوا أَنَّ هَنَاكَ فَرْقًا** جليًّا بين حكومة يقعُ فيها فساد، وحكومات عربيّة تتنفّسُ الفسادَ وتنامُ، ثمّ لا تقومُ إلاّ به..!!

2014-04-06

المِحْوَرُ الثَّاني
حَوْلَ أَمْرِيكَا وَأُورُوبَّا

الاهتمامُ بأوروبا وأمريكا في بلداننا العربية وراءه أسبابٌ أبرزُها أنّهم الأقوى خلال هذه المرحلة، فتؤثّرُ سياساتُهم وأحداثُهم فِينَا بشكلٍ مباشرٍ لأنّ حكّامَنا، في الأغلب، يضبطون ساعاتِهم على توقيت بروكسل وباريس ولندن وواشنطن...!!

قد يظهرُ في هذه المقالات إعجابٌ وحماسٌ للدّيمقراطيّة الأمريكيّة، أو الجزء الظّاهر منها على الأقلّ، والسّببُ أنّني مواطنٌ عربيٌّ محرومٌ من الحكم الرّاشد، فَأُدَنْدِنُ دائما حول حقّنا في التّطلّع إلى الصّناديق الشّفافة مظهرًا ومَخْبَرًا.

وهنا... ربّما وقعتُ في براثن اليأس الذّي يتطلّعُ صاحبُه لأيّ سرابٍ من بعيدٍ، ولو تمثّلَ في فوزِ رئيسٍ أمريكيٍّ مثل أُوبَامَا، في بلدٍ تحكمُه مصالحُ تحدّدُها مؤسساتٌ وليس شخص الرّئيس..

لكنّه الضّعفُ واليأسُ الذّي يتحوّلُ إلى أملٍ في زمن الاستبداد والفساد العربيّ الطّويل... أنا معذور، وغيري معذور أيضا..

هل كنتُ عاطفيًّا أكثر من المعقول..؟ أم ساذجًا بسبب الطّمع في تغييرٍ عبر أسباب خارجيّة غير مباشرة، خاصّة في آخر كلماتِ مقالي عن فوز باراك أوباما بالعهدة الثّانية، والأمل في توقّف الدّعم الأمريكيّ للحكومات المستبدّة والفاسدة في عدد من بلداننا العربية.

لا أدري.. ربّما تكون لحظةً من لحظات التّفاؤل المفرط..

كُوبَا وَظَاهِرَةُ الانْقِرَاض

فِيدَل كَاسْتْرُو المشاكسُ وجزيرةُ كُوبَا الصّامدة في وجه أمريكا النّموذج الأسوأ للإمبرياليّة العالميّة في نظر المعسكر الشّيوعيّ على الأقلّ... ثلاثيٌّ ترعرعتُ على أخبار مناوشاته ومشاكساته واستفزازاته المتبادلة، وكَيْفَ لِي، ولأبناء جِيلِي، أن أكون في مَعْزَلٍ عن ذلك وسنوات حكم السّيّد القائد كَاسْتْرُو تزيد عن سنوات ما مَضَى من عمري بِعَقْدٍ كامل من السّنين..

كنتُ ولا زلتُ أحترمُ هذا الرّجلَ في جانبٍ واحد فقط، فلستُ من الذّين يُبيحون لأنفسهم الإشادةَ المطلقةَ بأيّ زعيمٍ أو رئيسٍ، مهما علا شأنه وتراكمتْ خدماتُه وأياديه البيضاء على شعبه، عندما يدوسُ على مقدّرات الشّعب الأساسيّة وطلائعه الحيّة ويسمحُ لنفسه، الأمّارة بالسّوء، بالتّربّع طول الحياة على كرسيّ الحكم ممسكًا بمفاصل السّلطة، ومحصيًّا على الشّعب كلّ صغيرةٍ وكبيرة، وكأنّ أرحامَ النّساء عقمتْ عن ولادةِ البديلِ أو المثيلِ، أو حتّى الأقلّ شأنًا لكنّه يملكُ من القدرة والذّكاء والكفاءة ما يؤهلّه لخدمة الشّعب، والسّير على الدّرب ومواصلة المسيرة.

نعم أحترمُ في الرّجل ثباتَه على مبدأ عداوته للولايات المتّحدة الأمريكيّة طوال سنوات حكمه التّي قاربت الخمسين سنة، وهي سنواتٌ تمرّ على النّفس طويلةً وطويلةً جدّا إذا وضعنا في الحسبان أنّ العدوّ قويٌّ ومتمكّنٌ وجارٌ لَصِيقٌ في الوقت نفسه.

لقد ظلّ الرّجلُ صامدًا رغم محاولات الاغتيال الكثيرة التّي دبّرتها الاستخبارات الأمريكية، ولم تكن بعدد أصابع اليد ولا بالعشرات، فقد بلغت أكثر من سّتمائة (600) محاولة اغتيال حسب تصريحات أحد الوزراء الكوبيّين..!!!

وكان من بينها السّعيُ مرّةً نحو جَعْلِ رَجُلِ هَافَانَا القويّ يدخّنُ سِيجَارَهُ الكوبيّ المفضّل وقد حُشِيَ بالمتفجّرات..!!

الرّجلُ ظلّ صامدًا رغم أنّه مرّ بمرحلةِ الحربِ الباردةِ بين المعسكرين الشّرقيّ والغربيّ، وكانت بلادُه إحدى السّاحات الرّئيسيّة والحسّاسة لهذه الحرب، بل كادت أن تتحوّلَ إلى ساحةِ حربٍ حقيقيّةٍ عندما قادت الولاياتُ المتّحدةُ الأمريكيّةُ عام 1961 محاولةً فاشلةً لغزو كُوبَا عبر جيش من الكوبيّين المعارضين الذّين يقيمون في أمريكا.. وكانت هزيمةُ القوّات الغازية في معركة "خليج الخنازير" الشّهيرة.

وبعد عام من محاولةِ الغزو تلك، أُصيبَ العالَمُ بالفزع الشّديد وهو يرى نُذُرَ حربٍ نوويّةٍ شاملةٍ بين قُطْبَيْ العالَم في ذلك الوقت: الولايات المتّحدة من جانب، والاتّحاد السّوفيتيّ من الجانب الآخر..!!

وكانت كُوبَا و فِيدَلْ كَاسْتْرُو هما أوّلُ مَن سيُمحَى من الوجود في تلك الحرب لو قُدّر لها الاشتعال، فالصّواريخُ السّوفيتيّةُ، مربط الفرس في التّوتّر، قد أخذت مواقعَ لها في كُوبَا، وباتّجاه الولايات المتّحدة رأس الحربة في المعسكر الرأسماليّ..!!

الرّجلُ ورغم كلّ ذلك ظلّ مصرًّا على مبادئه وعداوته للولايات المتّحدة الأمريكيّة إلى أن تخلّى عن الحكم نهائيًّا، ولم يحذو حذوَ الكثير من الزّعماء الثّوريين الذّين بادروا إلى خلع عباءة الثّورة عندما شعروا بالتّهديد الجدّيّ من القوّة الأمريكيّة، فغيّروا قِبلَتهم التّي ظلّوا عاكفين عليها سنين طويلة، وتمسّكوا في نفس الوقت بكراسيهم يقابلون شعوبَهم وعدسات الكاميرات بنفس الابتسامة المخزية..!!

ظلّ الرّجلُ صامدًا إلى آخر لحظة...

وفي نفس السّياق التّاريخيّ تابعَ العالَمُ مَنْ أَطْعَمَ شَعْبَه، سنوات طويلة، شعاراتٍ معاديةً للإمبرياليّة، وظلّ يصفُ الولايات المتّحدة بالشّيطان الأكبر، فلمّا وضعَ "الشّيطان" رِحَالَه على مَرْمَى حَجَرٍ من الدّيار ومرابط الخيل صَمَّتِ الآذانُ عن هذا الشّيطان، وعن مدافعه وطائراته، وحلّ الغزلُ وتقاسمُ الغنائم محلّ تلك "العداوة الشّرسة"..!!

احترمُ الرّجلَ في هذا الجانب فقط... وعندما أعلنَ مؤخّرًا تخلّيه الكامل عن الحكم تمنّيتُ في نفسي أن تسيرَ قاطرةُ الحكم في كُوبَا الصّامدة بشكل آخر:

أن يضربَ الزّعيمُ الصامدُ مثلاً رائعًا لأعدائه قبل أصدقائه..؟؟

لكنّ الرّياحَ كثيرًا ما يحلوا لها أن تجري بما لا تشتهي السّفن..!!

لقد انتخبَ البرلمانُ الكوبيُّ رَاؤُول كَاسْتْرُو رئيسا لكوبا خَلَفًا للشّقيق القائد، وربّما كان الأمرُ مستساغًا بعض الشّيء لو كان هذا الشّقيقُ في بداية عهده بالشّيخوخة على الأقلّ..

لا.. إنّ الرّئيسَ الجديد يبلغ من العمر ستّة وسبعين (76) عاما..!!

ولم يتوقّف الأمرُ عند هذا الحدّ فقد عُيّن خوسيه رامون ماشادو فنتورا (77 عاما) نائبا أوّل للرّئيس، وانتخبَ البرلمانُ نوابًا أربعة للرّئيس هم: خوان أليدا بوسكي (80 عاما) و آبلداردو كولوموي إيبارا (68 عاما) وأستيبان لازو هرناندیس (63 عاما) وخوليو كاساس ريغيرو (71 عاما)..!!

خمسةُ نوّابٍ للرّئيس الجديد... أصغرهم يبلغ من العمر ثلاثة وستّين عاما..!!!

لا ندري هل تختلفُ مفاهيمُ الشّباب والشّيخوخة بيننا وبين الكوبيّين..؟؟

وهل يوجدُ في كُوبَا اليوم رجالٌ وسياسيّون في الثّلاثينيّات والأربعينيّات من أعمارهم..؟؟

أم أنّ هؤلاء النّواب الخمسة هم أصغرُ الأحياء سنًّا في جزيرة كُوبَا.؟؟

وَهَلْ يَعْنِي هَذَا أَنَّ ظَاهِرَةَ الانْقِرَاضِ قَدْ بَدَأَتْ زَحْفَهَا عَلَى الشَّعْبِ الْكُوبِيِّ..؟؟

الله أعلم.. لكن... للهِ في خَلْقِهِ شُؤُون.

2008-02-28

الرُّوحُ الرّيَاضِيَّة

ابتسامةٌ عريضةٌ وثقةٌ عالية بالنّفس، ونبرةُ صوتٍ متفائلة، وجمهورٌ غفيرٌ يتفاعلُ مع كلّ جملةٍ تنطقُ بها السّيّدةُ المفوّهة المحنّكة.. رسائلُ وجّهَتْهَا لِخَصْمِهَا السّابق، وتأكيداتٌ صريحةٌ على مواقفها ورؤيتها لما يجري في بلادها والعالَم، وفي الأخير دعمٌ لخيارِ الدّائرةِ الموالية لدائرتها الخاصّة.

هكذا ظهرت السّيّدةُ هِيلاَرِي كْلِينْتُون أمام حشدٍ كبيرٍ من أنصارها في واشنطن وهي تعلنُ انسحابَها رسميًا من سباق الحزب الدّيمقراطيّ للتّرشّح لانتخابات البيت الأبيض القادمة.. ظهرت بتلك "الرّوح الرّياضيّة" العالية وسلّمت الرّايةَ كاملةً غير منقوصةٍ لمنافسها العنيد السّيناتور بَارَاك أُوبَامَا ذي الأصول الأفريقيَة.

لو تابعَ ذلك التّجمعَ من لا يفقه شيئًا في اللّغة الإنجليزيّة، ولا علاقةَ له بالسّياسة وعالَم الأخبار، وقِيلَ له إنّ تلك المرأةَ تعلنُ فوزَها برئاسة بلادها الولايات المتّحدة الأمريكيّة؛ لما كان أمامه سوى تصديقُ ذلك..!!

فعلاماتُ الفرح والنّبرةِ العاليةِ الواثقةِ، تُوهِمُ بأنّ الحديثَ يدورُ عن انتصارٍ عظيمٍ لا يتحقّقُ إلاّ للقليل من النّاس، وفي أزمانٍ نادرة.

نعم كانت تتحدّثُ كما لو أنّها فازتْ برئاسة الولايات المتّحدة الأمريكيّة قاطبةً، وليس بترشيح الحزب الديمقراطيّ فقط، وما يكملُ الصّورةَ ويجعلُها أكثرَ لَمَعَانًا وإشْعَاعًا، هو تأكيدُ المرأةِ القاطعِ وقناعتُها الكاملة بدعم منافسها السّابق حيث قالت: "سأعملُ من صميم قلبي لضمان أن يكون السّيناتور أُوبَامَا رئيسنا القادم".

وفي تقديري أنّها صادقةٌ فعلاً في الاختيار الذّي مالت إليه، رغم جهلي بتاريخها مع الصّدق والكذب، وهي المحامية اللاّمعة في عنفوان شبابها.

نعم.. صادقة لأنّها عندما خسرت أو فشلت في الدّائرة الأولى، وهي تمثيلُ الحزب الدّيمقراطيّ في سباق الرّئاسة، لم يبق أمامها إلاّ الدّائرة الثّانية وهي دائرة الحزب، ولأنّها وفيّةٌ لحزبها ومناصريه؛ فلا بدّ أن تعملَ ليكون مرشّح الحزب قويًّا أمام الخصم العنيد جُونْ مَاكِين مرشّح الحزب الجمهوريّ.

ليس في ذاكرتي القريبة حفل إعلان فوز رئيس عربيّ، ومظاهر الفرح وكلمات الشّكر والامتنان التّي يوجّهُها الزّعيم لشعبه أو مناصريه وجمهوره الانتخابيّ، لكنّني أكادُ أجزمُ أنّه لن يكون في بهجةِ وفرحةِ حفل هِيلاَرِي كْلِنْتُون..!!

أُوبَامَا من جانبه الْتَقَطَ رأسَ الخيط وقال في بيان له: إنّه سعيد جدًا، ويشعرُ بالفخر لحصوله على تأييد هِيلاَرِي كْلِنْتُون، ثمّ أشادَ بنجاح حملتها في جانب تعبئة النّساء وتحطيم الحواجز أمامهن.

وهكذا لم تأخذه عزّةُ الانتصار، لأنّه يدركُ أنّ المعركةَ الحقيقيّةَ لم تبدأ بعد، وأنّه في حاجةٍ إلى الجميع، وأنّ ما حدثَ، من جدلٍ وشدٍّ وجذبٍ بينه وبين منافسته العنيدة، أمرٌ عاديٌّ للغاية، وطبيعيٌّ أن يحدثَ في الأحزاب الدّيمقراطيّة.

إنّ أغلبَ ما جرى على مسرح الانتخابات الأمريكيّة، وتحديدًا على جانب الحزب الدّيمقراطيّ، هو ممارسةٌ ديمقراطيّةٌ عالية المستوى، وليس لنا إلا الإشادة بها وإظهار الإعجاب، حتّى لو كان الغضبُ يكسونا جميعا من التّصرفات الرّعناء، والمظالم المتكرّرة التّي ترتكبُها السّياسة الخارجيّة للولايات المتّحدة الأمريكيّة.

إنّ أحزابَنا في حاجةٍ إلى تعميق الوعي الدّيمقراطيّ الحقيقيّ، وبث "الرّوح الرياضيّة السّياسيّة"، ونشر أريجها العَطِر على جميع المستويات والهياكل الإداريّة من القاعدة إلى القمّة.

ودون ذلك نظلُّ نراوحُ مكانَنا، ونستنسخُ التّجاربَ السّيّئةَ، ونعيدُ السّيناريوهاتِ الرّديئةَ، وندفعُ إلى مقدّمةِ الرّكبِ وسُدّةِ القيادةِ بنماذج محاطة بالعُقَد والوساوس والأحقاد، لا ترى لنفسها أولوية إلاّ تصفيةَ الحسابات مع خصومها من خلال إدمان الدّسائس والمؤامرات والعمل من وراء الكواليس.

إنّنا في حاجةٍ إلى بثّ ثقافة تقبّل الاختلاف، والإقرار بحقّ الآخر في التّنفّس الطّبيعيّ، لأنّ العظمةَ والعبقريةَ في التّعايش مع الآخر رغم شدّة الاختلاف معه.

وقّمّةُ الحكمة أن نبحثَ عن نقاط مشتركة، وقضايا متّفق عليها لنعمل فيها سويًّا، وإذا انشغلنا بعد ذلك في المتّفق عليه فلن نجدَ وقتًا للاختلاف.

إنّ الأمثلةَ مُرّةٌ في بعض بلادنا، فما أن يسقطَ أحدُهم في هذه الجولة السّياسيّة أو تلك حتّى يبادرَ إلى حرق كلّ أوراقه والتّنكّر لكلّ ماضيه والتّملّص من كلّ علاقاته، وإحكام الأبواب في وجه "أصدقاء" الأمس ورفقاء الدّرب السّياسيّ، والسّبب هو ذلك النّقص الحادّ في ثقافة الاعتراف بالهزيمة والعودة إلى الوراء دون عُقَدٍ، والانخراط من جديد في المحيط السّابق.

يقول الفيلسوف والشّاعر محمّد إقبال: "ليس كلّ من درس علم النّخيل تمتّع بالرُّطَب"...

نعم.. ليس كلّ من رفع شعاراتٍ ديمقراطيةً، وصَنَعَ صناديقَ خشبيةً أو زجاجيةً، ومَلَأَها بالأوراق، صار ديمقراطيًّا..!!

إنّ الدّيمقراطيّةَ الحقيقيّةَ هي مجموعةٌ من القناعات والسّلوكيات التّي تبدأُ أساسًا وتتجلّى في العمل الحزبيّ، وفي التّجاذب الدّاخليّ النّظيف بين رفاق الحزب الواحد، حتّى إذا وصلَ اللّعبُ إلى أعلى الهرم، لم يجد الفردُ شيئًا زائدا في نفسه، أو رغبةً في إقصاء الآخرين والاستئثار الكامل بكلّ شيء.

انتقلت هِيلاَرِي كْلِنْتُون من الدّائرة الأولى إلى الثّانية بسهولةٍ ويُسْر، وهكذا تستطيعُ الانتقالَ إلى الدّائرة الثّالثة أيضا، ولن نستغربَ إذا رأيناها في صفّ الجمهوريين يوما، ومع جُونْ مَاكِين بالذّات، إذَا تَعَلَّقَ الأَمْرُ بِمَصْلَحة أَعْلَى تَخُصُّ البَلَدَ بِرُمّتِهِ، **فَتَتَلاَشَى أَمَامَهَا جَمِيعُ الحَسَاسِيَّاتِ وَالخِلاَفَاتِ الحِزْبِيّةِ**، أَوْ تَتَأَجَّلُ إِلَى حِين.

2008-06-12

فوزُ أُوبَامَا وحِكْمَةُ مَاكِين

مرّة واحدة شعرتُ بالتّعاطفِ مع المرشّح الأمريكيّ الجمهوريّ جُونْ مَاكِين، بل وأحسستُ في تلك المرّة بالشّفقةِ على ذلك الشّيخ السّبعينيّ الذّي كان يحاولُ خلال حملته الانتخابيّةِ تجاوزَ عَقَبَةِ الشَّعرِ الأبيضِ والتّجاعيدِ وَلَوْنِ البَشَرَةِ الباهتِ بكلماتٍ حماسيّةٍ وحركاتٍ تبدو شبابيّةً خلال صعودهِ إلى المنّصةِ أو مغادرته لها.

تلك المرّةُ اليتيمةُ كانت في ختامِ آخرِ مناظرةٍ بين جُونْ مَاكين وخَصْمِهِ الدّيمقراطيّ الشّاب بَارَاكْ أُوبَامَا.. لقد طلبَ مديرُ الجلسةِ من كلاَ المُتَنَاظِرَيْنِ كلمةً ختاميةً مختصرةً، وجاءت نبراتُ الرّجلِ في كلماته الأخيرة مُسْتَعْطِفَةً راجيةً صاغرةً أمامَ الشّعبِ الأمريكيّ، وشعرتُ لِلَحْظَةٍ أنّ الرّجلَ سيجهشُ بالبكاءِ لا محالة...!!!

قال السّيناتور مَاكين في جُمَل مختصرة: لقد خَدَمْتُكُم لمدّةِ ثلاثين عامًا، وآملُ أن تعطوني أصواتَكم لأتمكّنَ من مواصلةِ خدمتكم.

إنّه جبروتُ الصّندوقِ الانتخابيّ الشّفاف في الدّيمقراطيّات العريقة..

لقد شاركَ الرّجلُ في حرب فِيتْنَام متطوّعًا لخدمة مصالح بلاده، وظلّ لأكثر من خمس سنوات أسيرَ حربٍ هناك، وقضى سنتين من تلك السّنوات العصيبة في حبسٍ انفراديّ، وتعرّضَ للتّعذيب الشّديد..!!

وظلَّ الرّجلُ في الكونجرس أكثر من ثلاثةِ عقودٍ يمثّلُ ولايَتَه، ويدافعُ عن مصالح جمهوره الانتخابيّ..

ولم يشفع له كلّ ذلك الماضي الزّاخر..!!!

وهاهو يستجدي الشّعبَ الأمريكيَّ، وينتظرُ أصواتَ النّاخبين للوصول إلى البيت الأبيض...

في الموقفِ نفسه تكلّمَ المرشّحُ الشّابُ بَارَاك أُوبَامَا، وطلبَ هو أيضًا أصوات النّاخبين، ودعا الشّعبَ الأمريكيّ إلى انتخابه لتحقيق برنامجه الذّي يحملُ معه رياحَ التّغيير، لكنّ نبرات صوت ذلك الشّابّ الأفريقيّ الأصل ظلّت عاديّةً إلى حدٍّ كبير، ولم أشعر نحوه بأيّ شَفَقَةٍ أو تعاطفٍ، ربّما لأنّه في مرحلةٍ عُمْرِيَّةٍ تساعدُه على خوضِ غمارِ مغامراتٍ انتخابيّةٍ قادمةٍ دون عائقِ السّنّ أو الصّحّة.

ومثل الكثيرين من مواطني العالَم الثّالث وعالمنا العربيّ كنتُ أتمنّى فوزَ المرشّح الدّيمقراطيّ بَارَاك أُوبَامَا، مع أنّني أدركُ تمامًا، كما يدركُ الكثيرون أيضًا، أنّه لا يملكُ

(عصا موسى) لتحويل مسارِ السّياسة الأمريكيّة القائمة على المصلحة التّي تحدّدُها المؤسّسات مجتمعةً، وتحكمُها تقاليدُ متوارثةً، ونظرةٌ نمطيّةٌ للأخلاق والمصالح والآخر.

إنّها نظرةٌ تشكّلت على مرّ السّنين ووضعَ أساسَها الأوّل أولئك المغامرون الأوائل الذّين وَطِئَتْ أقدامُهم العالَمَ الجديد منذ أكثر من خمسمائة عام..؟؟

وَضَعُوا الأساس لنظرتهم للآخر وللأخلاق عندما رأوا أنّ إبادَة الهنودِ الحمر أفضلَ وأيسرَ من التّعايش معهم، ونقل التّمدّن إليهم..!!

وفرحتُ فعلاً عندما فازَ أُوبَامَا الأفريقيّ الأصل مثل الكثير من المواطنين العرب..؟؟

فرحة كان محرّكُها الأوّل ذلك الإحساس بالانتقام، ولو كان وهميًّا، من الرّئيس الجمهوريّ جُورْجْ بُوشْ الذّي مَلأَ العالَمَ شرًا ودمارًا، وزَرَعَ الخوفَ في كلّ مكان، وأثارَ حروبًا هنا وهناك، وأذلَّ كثيرًا من حكّام بلداننا العربيّة والإسلاميّة، كما كَشَفَ عن ذلك الرّئيس الباكستانيّ السّابق بَرْوِيزْ مُشَرَّف في مذكّراته أخيرا، عندما قالَ إنّ بُوشْ هَدَّدَهُ بأن يُعِيدَ باكستان إلى العصر الحجريّ إذا لم يَتَعَاوَنْ معه في الحرب على الإرهاب عَقِبَ أحداث الحادي عشر من سبتمبر..!!

فرحتُ بفوز أُوبَامَا لأنّه أسودُ البَشَرَةِ، وليسَ أفريقيّ الفكرِ والهوى بالضّرورة، فالبعضُ قد أكّدَ على أنّه أبيضُ الأفكار والتّوجّهات، وربّما أكثر بياضًا في ذلك من سَلَفِهِ، فقد يكون أشدُّ وأخطرُ على قضايانا العادلة عندما يجدُ نفسَه في أمسّ الحاجةِ إلى مواقف ضدّنا ليدحضَ تهمةَ أبيه المسلم، وعلاقاته السّابقة بمواطنين عرب في الولايات المتّحدة..!!

فرحتُ بِفَوْزِ أُوبَامَا الأسود لأنّ مرحلةً طويلةً من الظّلم في حقّ الأفارقة قد أوشكت على النّهاية.

فمثل غيري شاهدت أفلامًا، وقرأتُ كثيرًا عن مآسي ترحيل الأفارقة إلى أمريكا في السّفن، وكيف كانت أعدادٌ كبيرةٌ منهم تموتُ فَتُرْمَى لِحِيتَانِ البحر، وكيف عَامَلَهُم

الرّجلُ الأوروبيُّ الأبيضُ بقسوةٍ بالغةٍ في مزارع العالَم الجديد، وقرأتُ عن التّمييز العنصريّ في أمريكا حتّى في سنوات ما بعد الحرب العالميّة الثّانيّة..!!

فرحتُ بِفَوْزِ بَارَاك أُوبَامَا، وفي الوقت ذاته شعرتُ باحترامٍ كبيرٍ للطّرف الآخر..؟؟

احترامٌ لذلك الرّجل المسنّ الحكيم الذّي كان يستعطفُ الأمريكيّين في آخر مناظرة..!!

احترمتُه عندما تغيّرتْ لهجتُه أمام الخصم الشّاب بعد إعلان النّتائج، لقد قال لأنصاره: لقد اتّصلتُ بالسّيد أُوبَامَا وهَنَّأْتُهُ على الفوز، ثمّ طلبَ من الذّين صوّتوا له واختاروه أن يساندوا الرّئيسَ الجديدَ في ما يخدمُ مصالح الولايات المتّحدة..!!

لقد طوى الرّجلُ بكلّ بساطة صفحةَ فترة التّشاحنِ والتّنافسِ والتّنابزِ بالألقاب، فَخَصْمُهُ لم يعد ذلك الشّاب الغرّ الذّي لا يدركُ خَفَايَا السّياسة الخارجيّة كما كان ينعته، ولم يعد ذلك الرّجلُ الذّي كان يوما على علاقة بإرهابيّ أمريكيّ..!!

لقد صَفّرَ الحَكَمُ وأعلنَ نهايةَ المباراة، وصارَ الخصمُ هو خيارُ الشّعب الأمريكيّ، وعلى الجميع الانحناء لهذا الخيار ولو على مَضَض.

إنّ فوزَ بَارَاك أُوبَامَا الأفريقيّ الأصل وموقفَ منافسه جُونْ مَاكِين يؤسّسُ لمرحلة أخرى من القّوة ستشهدها الولايات المتّحدة الأمريكية شِئْنَا ذلك أم أَبَيْنَا، وكلُّ ما نتمنّاه أن تسيرَ تلك القوّة مستقبلاً في اتّجاه احترامنا والسّماح لنا بتقرير مصيرنا بأنفسنا واختيار حكوماتنا ومواقفنا.

وعسى أن يكون التّغييرُ الذّي رَفَعَهُ أُوبَامَا دافعًا لنا نحو التّفكير في تغيير أحوالنا وأوضاعنا، وأنماط حياتنا إلى الأفضل لتتغيّر بالتّالي دُوَلُنا.. لأنَّ التّغيّيرَ الحَقِيقِيَّ لَنْ يَأْتِي أَبَدًا مِنَ الشَّرْقِ أَوْ الْغَرْبِ، **وَلَنْ يَبْزُغَ فَجْرُهُ إلاَّ بِقَرَارٍ صَادِقٍ مِنَّا دُونَ تَدَخُّلٍ أَوْ وِصَايَةٍ مِنْ أَحَد.**

2008-11-13

كَرْنَفَال الأَنْفْلُونْزَا

مؤامرةٌ يقودُها سياسيّون ورجالُ أعمالٍ ومخابرُ لصناعة الأدويّة.. هكذا اعتبرت صحفيّةٌ نمساويّةٌ جريئةٌ ذلك الكرنفال العالميّ الذّي رقصتْ حكوماتٌ ومؤسّساتٌ عالميّةٌ، وحتّى شعوبٌ متقدّمةٌ، على أَنْغَامِهِ، حيث اجتهدَ العازفون البارعون أن تكونَ حزينةً وحانيةً على البشريّة ومستقبلها الصّحيّ.

إنّها صحفيّةٌ تُدْعَى "يان بيرغر مايستر" متخصّصةٌ في الشّؤون العلميّة استغربتْ من "كَرْنَفَال أَنْفْلُونْزَا الخَنَازِير" مِثْل الكثيرين في هذا العالَم الذّي يعجُّ بالعقلاء والحكماء، كما يعجُّ بمرضى ومجانين، وانتهازيّي السّياسة والمال والاقتصاد..

استغربتْ من شَرَاسَةِ الحَمْلَةِ وطريقةِ إدارتها، وسرعة انتشارها وتكاتف "أصحاب المصالح" وتعاضدهم لإنجاحها عبر ضخّ المعلومات والأرقام المثيرة المرعبة..!!

استغربتْ من كلّ ذلك ولم تقف مكتوفةَ الأيدي، بل بادرتْ إلى تصعيد الأمرِ إلى درجاته القصوى، عندما أودعتْ شكوى عند مكتب التّحقيقات الفيدراليّ الأمريكيّ ضدّ منظّمة الصّحة العالميّة، التّي تَوَلَّتْ كِبْرَ تضخيم داء أنفلونزا الخنازير والتّحذير منه بشكلٍ مثير للغاية.

ولم تكتف الصّحفيّةُ النّمساويّةُ بذلك بل اشتكتْ أيضا منظّمةَ الأمم المتّحدة والرّئيس الأمريكيّ بَارَاكْ أُوبَامَا، وبعضَ الأسماء المعروفة في اللّوبي اليهوديّ بالولايات المتّحدة الأمريكيّة..!!

التُّهَمُ التّي قذفتْ به الصّحفيّةُ في وَجْهِ المعنيّين بالأمر خطيرةٌ للغاية، وقد تبدو أكثرَ من الحدّ المعقول، حيث ذكرتْ، حسب ما جاء في وسائل الإعلام، "القضاء على سكّان الأرض.. القتل الجماعيّ للبشر"..!!!

وقد يكونُ لها ما يبرّرُ ذلك المَنْحَى، وقد نتّفقُ معها في ذلك أو نختلف، لكنّ المؤكّدَ أنّ جميع العقلاء في عالَم اليوم يتّفقون معها في مسألة جنون تحقيق الأرباح الماديّة، وسَعْيِ كثير من شركات الدّواء العالميّة نحو هذا الهدف، كما ظهرَ ذلك جليًا خلال العقود الأخيرة، من خلال الاحتكار وعدم التّرخيص لإنتاج أدوية بأسعار معقولة تُناسِبُ شعوبَ العالَم الفقيرة، وحتّى عرقلة أيّ جهودٍ جادةٍ لإنتاج أدوية خارج "منظومة الاحتكار الكبرى" خاصّة في ملفِّ دَاءِ الإيدز الذّي تستأثرُ بإدارته وأرباح أمصاله شركاتُ دواءٍ غربيّة..!!

الأيّامُ القادمةُ كفيلةٌ بأن تكشفَ الكثيرَ من الحقائق، وكفيلةٌ أيضا، وللأسف الشّديد، بأن تطفئَ وَهجَ دعوى تلك الصّحفيّة الجريئة وغيرها، وتُحَوِّلَها إلى المراتب الأخيرة في سلّم الاهتمامات العالميّة...

إلاّ في حالةِ تزايد الدّعوات المماثلة عبر مختلف أنحاء العالم، بالإضافة إلى الحملات الإعلاميّة الموازيّة والمكثّفة لتفويت الفرصة على سماسرة الدّواء والمال المحليّين والدّوليين، والحدّ من "كَرْنَفَال الأنفلونزا" وإيقاف حملة التّخويف العالميّة المستمرّة منذ عدّة أشهر، ومن ثمّ وَضْع هذا الدّاء في حجمه ومكانه المناسب.

وغير بعيد عن سياق الدّعوى التّي رَفَعَتْهَا الصّحفيّةُ النّمساويّة يمكن للمتأمّل في مسار العولمة الاقتصاديّة، وسجلّ الشّركات العالميّة العابرة للقارّات أن يعرفَ السّرّ بكلّ سهولة، لأنَّ الأساسَ عند القوم هو الرّبح، والرّبحُ المطلق المجرّد في أكثر الأحيان، دون أيّ اعتبارات إنسانيّة أو ثقافيّة أو صحيّة، حتّى لو ملأت تلك الشّركاتُ الدّنيا ضجيجًا وشغلت النّاس بشعاراتها البرّاقة..!!

بل إنّ الأَدْهَى والأمرّ من ذلك أنّ الأساسَ الذّي تقومُ عليه الرّأسماليّة الأمريكيّة، والغربيّة عموما، وتجلّياتها في جميع المجالات، هو تلك التّصرفات والنّشاطات التّي مارَسَهَا الغرب "المتخلّف" قبل خمسمائة عام، عندما راحَ يتنفّسُ الصّعداءَ ويَخْرُجُ من قَوْقَعَتِه وينفضُ عن نفسه غُبَارَ القرون الوسطى ليغزوَ بعد ذلك الشّرق والغرب، ويتلمّسَ ما حوله وينهبَ خيرات القّارات والشّعوب الفقيرة باسم الاكتشافات الجغرافيّة ونشر المدنيّة والحضارة..!!!

ولعلّ أبرز مثال في هذا الشّأن ما أوردَه الصّحفيّ والكاتب المصريّ الكبير محمّد حَسَنِين هيكل في كتابه "الزّمن الأمريكيّ من نيويورك إلى كابل" وهو يتحدّثُ عن بدايات "العالَم الجديد" وخصوصًا تلك الشّركات التّجاريّة التّي شكّلت أساسَ الولايات المتّحدة الأمريكية..؟؟

وينقلُ الأستاذ هيكل عن كتاب "العملاق" الذّي صدَرَ مطلع الألفيّة الثّالثة في نيويورك، وشاركَ في وضعه أكثر من ثلاثين كاتبًا وباحثًا، حاولوا جميعا الغوصَ في أسرارِ وخفايا التّجربة والدّولة والقوّة الأمريكيّة الحاليّة....؟؟

ينقلُ بعضَ تفاصيل تلك البدايات الأولى للمهاجرين الأوروبيّين المغامرين نحو العالَم الجديد والثّروات المكدّسة التّي أذهلتهم، وأخبار وأسرار أوّل شركة مساهمة تأسّست في تلك البلاد البِكْر، وهي شركة "فرجينيا" التّي بادرت إلى شقّ الطّرق وإنشاء البنايات، ممّا نبّهَ الهنود الحمر، سكّان أمريكا الأصليّين، إلى أنّ المهاجرين البيض الذّين نزلوا على شواطئهم "لم يعد يكفيهم ما امتدت إليه أيديهم من ذهب وجواهر وما خطفوه من بنات ونساء، وهم الآن ينصبون خيامًا على الأرض، ويدقّون ويحفرون، وقد جاؤوا بآلاتٍ وبذور، وإذن فهي إقامة وليست زيارة"..!!!

ويوردُ كتاب "العملاق"، حسب الأستاذ هيكل، تقريرا لشركة "فرجينيا" كُتب عام 1624 وكان مُوَجَّهًا إلى جمعيّة المساهمين في لندن وفيه بالنّص: "إنّ الخلاصَ من الهنود الحمر أرخصُ بكثير من أيّة محاولة لتمدينهم، فهم همجٌ، برابرةٌ، عراة، متفرّقون جماعات في مواطن مختلفة، وهذا يجعلُ تمدينَهم صعبًا، لكنّ النّصرَ عليهم سهل. وإذا كانت محاولةُ تمدينهم سوف تأخذُ وقتًا طويلاً، فإنّ إبادَتَهُم تختصره، ووسائلنا إلى النّصر عليهم كثيرة: بالقوّة، بالمفاجأة، بالتّجويع، بِحَرْقِ المحاصيل، بِتَدْمِيرِ القوارب والبيوت، بِتَمْزِيقِ شِبَاكِ الصّيد، وفي المرحلة الأخيرة المطاردة بالجياد السّريعة والكلاب المدرّبة"..!!!

إنّنا نحترمُ ما في الغرب، والولايات المتّحدة على وجه الخصوص، من ديمقراطيّة وحريّات وحقوق إنسان، لكنّ الحقيقةَ المرّةَ أنّ السّياسةَ الخارجيّةَ لبلاد الغرب ما زالت تُدارُ، في كثير من جوانبها الاقتصاديّة والماليّة والسّياسيّة، بِمَنْطِقِ تلك الرّسالة التّي كُتِبَتْ قبل مئات السّنين..!!!

تُدَارُ بِمَنْطِقِ وَفِكْرِ ذَلِكَ الْمُغَامِرِ الانْتِهَازِيِّ النَّفْعِيِّ الذّي عَبَرَ الْبِحَارَ وَالْمُحِيطَاتِ وَاسْتَوْلَى عَلَى أَرَاضِي وَخَيْرَاتِ الآخَرِينَ وَصَادَرَ حَقَّهُمْ فِي الحَيَاة..؟؟؟

2009-09-26

كَفَاكُم فَقَدْ مَلَلْنَاكُم

أَطْلَقَ ساقيه للرّيح وجرَى بأقصى ما يستطيعُ دون أن يلتفتَ إلى الوراء، كان يحاولُ الخروجَ من المدينة ليسرحَ ويمرحَ في أرض الله الواسعة.. أَوْقَفَهَ أَحَدَهُم لِيَسْأَلَهُ عن الخَطْب، فأجابَه بعد أن أدركَ بعض الأمان: إنّ السّلطانَ قد أصدرَ فَرَمَانًا يقضي بِفَقْءِ العينِ الثّالثةِ لكلّ من ثَبَتَ عليه ذلك.. وقد فررتُ بنفسي لأنجوَ من عذابٍ شديد.

فَغَرَ السّائلُ فَاهُ من الدّهشةِ وصَرَخَ: لكنَّ في وجهك من الأعين اثنين فقط، فما الدّاعي لهذا الخوف والهروب وهجر الوطن والأهل والخلاّن.. استردَّ بعضَ أنفاسه ثمّ ردّ وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة: المشكلةُ أنّ أعوانَ السّلطان يقومون بعمليّة الفَقْءِ أوّلاً، ثمّ يحسبون عَدَدَ الأَعْيُن، فإن كانت ثلاث فقد أصابوا الهدفَ، وإن كانت اثنتين فقط غادروا دون مجرّد اعتذارٍ للمسكين الذّي سيقضى بقيةَ حياته بعينٍ واحدة..!!!

القصّةُ رمزيَّة دون شك، ولا نتصوّرُ أنّها وقعت بحرفيّتها، حتّى في عصور العقاب الجماعيّ، وألوان التّنكيل الذّي شهدته بعض الأممِ على يد جيوش المغول وأشباههم من الغزاة المتوحّشين.

لكنَّ المفارقةَ أنّ بعض الشّعوب المعاصرة عايشت ما يشبهُ تلك القصّة بأشكالٍ وألوانٍ أخرى، وتابعَ العالَمُ أجمع أحداثَ المآسي والويلات بعد أن قُرُبَتِ المسافات، وتعدّدت وتنوّعت وسائلُ الاتّصال الحديثة التّي تنقلُ لنا كلَّ كبيرةٍ وصغيرةٍ في مشارق الأرض ومغاربها، وعلى مدار اليوم واللّيلة.

الجنودُ الأمريكيّون في العراق وأفغانستان، وعناصر الشّركات الأمنيّة الخاصّة، على أهبة الاستعداد للقتل وأصابعهم على الزّناد دائما، فالأصلُ عندهم أنّ الجميعَ أعداء، وبعدها يمكن التّمييز..!!

وهكذا يطلقُ الجنديُّ الأمريكيُّ النّارَ لمجرّد شكٍّ بسيط، ومن هناك تستطيعُ القيادةُ التّحرّي فيما حدثَ، وإن كان القتلى ذكورا أو إناثا وينتمون إلى القاعدة أو طالبان، أم هم مجرّد مدنيّين عزّل، أو حتّى عناصر من الشّرطة والجيش الأفغانيّ أو العراقيّ اختاروا المرورَ في الوقت والمكان الخطأ بالنّسبة للدّوريّة الأمريكيّة..!!

المآسي التّي نَقَلَتْهَا وسائلُ الإعلام الأمريكيّة كثيرة، وآخرها ما اقْتَرَفَهُ خمسةُ جنود في أفغانستان.. يقولون إنّ قائدَ وحدتهم (المعتوه) أَمَرَهُم بِقَتْلِ مدنيّين أفغان عُزَّل بشكلٍ وحشيّ..!!!

والمصيبةُ بعد ذلك: حيث يواجهُ هؤلاء الجنود تهمةَ القتل لأجل التّسلية وقطع الأصابع وأجزاء أخرى من أجساد الضّحايا والاحتفاظ بها كتذكار، وهي درجةٌ

متقدّمةٌ جدا في الوحشيّة والاستهانة بالآخر ظهرت في فضائح سجن (أبو غريب) بالعراق وأماكن أخرى.

تذكّرتُ قصةَ فرَمَان السّلطان وَفَقْءَ العين الثّالثة، وأنا أتابعُ تصريحات إد ميليباند الزّعيم الجديد لحزب العمّال البريطانيّ.

لقد تعهّدَ الرّجلُ بأن يخلّصَ الحزبَ من أشباح الماضي، وقالَ إنّ على (العمّال) أن يقرَّ بالأخطاء التّي اُرْتُكِبَتْ طيلة ثلاثة عشر سنة بما في ذلك غزو العراق الذّي وصفَه بالخطأ الكبير.

تصريحاتٌ شبيهةٌ سمعناها قبل ذلك من أقطاب الإدارة الجديدة في البيت الأبيض، عندما حمّلوا السّاكنين القدامى بعض الأخطاء في مسيرة الحرب على الإرهاب.

نعم إنّ ما حدثَ هو مجرّدُ أخطاء لا ترقى إلى درجة جرائم الحرب والإبادة الجماعيّة للشّعوب، والدّوس على أحلامها من أجل مصالح الشّركات الكبرى واللّوبيات الاقتصاديّة والسّياسيّة..؟؟؟

إنّه منطقُ أعوانِ ذلك السّلطان، وأسلوبُهم في تطبيق الفَرَمَان..!!!

مليون عراقيّ قتيل وملايين اليتامى والأرامل والمشرّدين والمعوّقين، ومليارات الدّولارات التّي ضاعت في مشاريع ما يسمّى إعادة الإعمار..؟؟؟

كلّ ذلك مجردُ خطأ، ويحتاج فقط من زعيم حزب العمّال الجديد إلى خطّةٍ تخلّصُه من أشباح الماضي، ليصلَ إلى الحكم في الانتخابات القادمة..!!!

ربّما نسلّمُ له ببعض الحقّ لو استطعنا النّظرَ من زاويته هو.. لكن.. أليس من حقّ الشّعوب المتضرّرة أيضا أن تتساءلَ عن أسباب الجريمة، ودوافعها الحقيقيّة، ومتى تتخلّصُ هي أيضا من أشباح الماضي التّي صنعتها القراراتُ الأنانيّةُ المبنيّةُ على نظريّةِ إلغاءِ حقِّ الآخرِ في الوجودِ إذا تعارضَ مع المصلحة المنشودة..؟؟؟

لقد اعتمد الأمريكيّون في غزوهم للعراق على فرضيّة امتلاك نظام صدّام حسين لأسلحة الدّمار الشّامل، وسوّقوا للفكرة حتّى صدّقوها على ما يبدو، ودخلوا البلادَ وقتلوا العبادَ، وحرثوا الأرضَ طولاً وعرضًا بحثًا عن تلك الأسلحة المزعومة، أو هكذا حاولوا

إيهامنا، ثمّ ظهروا أمام العالَم بعد ذلك بأيادٍ خاليّة، وقالوا إنّهم أخطأوا التّقدير لأنّ تقارير وكالتهم الاستخباراتيّة لم تكن دقيقة..؟؟؟

واعتذروا.. لكن بعد خراب (مالطة)، كما يُقال، وبعد أن شقّ الفأسُ الرّأس..!!!

إنّ قصةَ فَرَمَان السّلطان وما حدثَ من أخطاء واعتذارات غربيّة ستكون مقبولة فقط إذا أخضعنا أنفسنا إلى درجات عالية من حسن الظّن بهؤلاء القوم، وحذفنا من ذاكرتنا الكثير من الصّور والمواقف والنّظريات التّي تحكمُ طريقة تفكيرهم..؟؟؟

أمّا غير ذلك فإنّ كلامًا كثيرًا يمكن أن يُقَال في هذا السّياق، ويكونُ عبرةً لنا في الجزائر ونحن نتابع هذا الاهتمام والضّجيج الأمريكيّ الفرنسيّ حول الحرب على الإرهاب في منطقة السّاحل والصّحراء، وعمليات الخطف التّي تحدثُ من حين لآخر وما يتبعُها من دفعِ مبالغ طائلة لتحرير الرّهائن..؟؟

ما أحوجنا إلى صرخات عالية تقولُ لهم: كَفَاكُم فقد مَلَلْنَاكُم...

لقد أفزعتم العالَمَ عقدا كاملا باسم الحرب على الإرهاب، وشرّعتم به لأنفسكم ما أردتم، وجعلتم من أحداث سبتمبر (قميصَ عثمان)، وطُفْتُم به جهات العالَم الأربع، وبَكَيْتُم وضربتم وانتقمتم..!!!

ألم تطفئ هذه الحروبُ ظَمَأَكُمْ إلى الدّماء..؟؟؟

ابحثوا لكم عن شرعيّة أخرى بعيدا عن أرواحنا واقتصادنا وثرواتنا وأرضنا وصحرائنا البريئة الطّاهرة.. دَعُوا حكوماتِنا وشعوبَها تتدبّرُ الأمرَ إن كان فيه شيءٌ من الحقيقة.. لقد انكشفَ المستور..

حَتّى لَوْ كُنَّا فِي الْعَصْرِ الْحَجَرِيّ وَبِوَسَائِلَ اتّصَّالِهِ الْبَسِيطَة... لَوْ كُنَّا هُنَاك لَأَدْرَكْنَا أَنَّ وَرَاءَ الأَكَمَةِ مَا وَرَاءَهَا بَعْدَ تِكْرَارِ الْمَشَاهِدِ الْهُولِيُودِيّةِ وَالْخِدَعِ الْبَصَرِيّةِ الْغَبِيَّة.

2010-10-02

قَدِيمَةٌ وَاللّٰه.. وَسَخِيفَةٌ أَيْضَا

إذا كان المتحّدثُ مجنونًا فليكن المستمعُ عاقلاً.. مثالٌ عاميٌّ تذكّرته وأنا أقرأُ بعضَ حديثِ رئيسِ الوزراء البريطانيّ دِيفِيدْ كَامِيرُون أمام مجلس العُموم.. لقد قال الرّجل: "حقيقةُ أنّ القنبلةَ جرى حملها عبر طائرة شحن من اليمن إلى الإمارات ثمّ إلى ألمانيا وبريطانيا في طريقها إلى الولايات المتّحدة، تُظهرُ اهتمامَ العالَم كلّه بالعمل معًا للتّعامل مع هذا الأمر".

التّاريخُ يعيدُ نفسه.. عبارةٌ شائعةٌ لكنّ هناك من لا يستسيغها ويرى أنّ البديلَ عنها هو الحديث عن جهالة الإنسان وتكراره لأخطائه، ومن هناك تتحرّكُ أناملُه فينسجُ أحداثًا مشابهةً لما شَهِدَهُ الماضي دون أن يكرّرَ التّاريخُ نفسَه كما يُقَال..

وفي ضوء هذا الكلام لنا أن نتساءلَ إن كان الغربُ يكرّرُ مسرحياته المكشوفة ليخدعَ بها نفسَه، أم ليراوغَ شعوبَنَا وحكوماتَنا، ويمرّرَ عَبْرَهَا مشاريعَه ويحقّقَ مطامعَه ومصالحَه المتشعّبةَ هنا وهناك، والقائمة على مبدأ النّفعيةَ المكيافيليّة كأساسٍ للحكمِ والسّياسةِ والتّعاملِ مع الشّعوبِ الأخرى..؟؟

عندما قرأتُ كلامَ دِيفيدْ كَامِيرُون، سالفَ الذّكر، تذكرتُ العالَمَ الغربيّ وهو يستمعُ إلى بياناتٍ صادرةٍ من كُهُوفِ أفغانستان عام ألفين وواحد، وعادتْ صورةُ ذلك الاستثمارِ البَشِعِ المقزّزِ الذّي مَارَسَتْهُ إدارةُ البيت الأبيض، والحكوماتُ الغربيّةُ المتحالفةُ معها..!!

استثمارٌ في العواطفِ والمشاعرِ الشّعبيّة الغربيّة التّي أَلِفَتِ الأمنَ والأمانَ، فجاءَ من يضخّمُ لها بياناتِ الكهوفِ ويصوّرُها نذيرَ حَرْبٍ شاملة ومدمّرة على أوروبا وأمريكا، وأنّ نتائجَها قد تفوقُ القنابلَ الذّريةَ التّي ألقاها الأمريكيّون على مدينتيْ هيروشيما وناكازاكي اليابانيّتيْن نهاية الحرب العالمية الثّانية..؟!! نتائجُ لا يمكن تصوّرُها بأيّ حالٍ من الأحوال..!!؟

إنّها حَمَلاَتُ الاستغفال الغربيّ للشّعوب في النّصف الشّماليّ من الكرة الأرضية. وأيضًا: لِمَنْ أَعْطَى لِعَقْلِهِ إِجَازَةً مفتوحةً من سكّان النّصف الجنوبيّ، خاصّة العالَمَيْن العربيّ والإسلاميّ..!!

نعم.. إنّه استغفالٌ كبيرٌ ما بعده استغفال عندما تطلعُ علينا وسائلُ الإعلام العالميّة بأخبارِ تلك المجموعة المُطَارَدة في بلاد شبه الجزيرة العربيّة، حيث يلاحقُها عددٌ من الأجهزة الأمنيّة الإقليميّة والدّوليّة، ومع ذلك تخترقُ إجراءات التّفتيش في عدّة مطارات عالميّة، ومن هناك تقتربُ من هدفها وهو الوصولُ بالطّردِ المفخّخِ إلى الولايات المتّحدة الأمريكيّة..!!!

إنّها قمّةُ الاستغفال والاستهانة بعقول الآخرين عندما يتحرّكُ طردٌ مفخّخٌ، فيمرُّ بسلام عبر عدد من المطارات..؟؟؟

البدايةُ يمكنُ تصديقُها بسهولةٍ لأكثرِ من سببٍ وسببٍ في بلاد اليمن السّعيد.. بدءا بالتّسيّب الإداريّ والأمنيّ، وليس انتهاءً بأجهزة الرّصد والتّفتيش التّي قد تكونُ متواضعةً مقارنةً بما وصلت إليه المطاراتُ الدّوليةُ الكبيرة في الشّرق والغرب على حدّ سواء.

أمّا بَعْدَ اليمن... فتبدأُ ظلالُ الشّكّ حيث دولة الإمارات العربيّة المتّحدة وما تشتهرُ به مطاراتُها من الخدمات الرّاقية والمراقبة الدّقيقة والحزم الأمنيّ، ولعلّ قضية اغتيال القياديّ الفلسطينيّ محمود المَبْحُوح خير شاهد على تقدّم وسائل المراقبة والتّحريّ التّي وصلت إليها أجهزةُ الأمن الإماراتيّة.

ومن دولة الإمارات يصلُ الطّردُ المفخّخُ إلى ألمانيا، ثمّ بريطانيا ليتمَّ اكتشافُه قبل أن يبلغَ محطّته النّهائيّة، وهي معبدٌ يهوديٌّ في الولايات المتّحدة الأمريكيّة حسب تصريحات كبير البيت الأبيض الرّئيس بَارَاك أُوبَامَا..!!!

الحقيقةُ أنّ المُخْرِجَ تسرّعَ في قبول السّيناريو وإخراجه، والسّببُ هو عامل الوقت الذّي لم يكن في مصلحة الذّين يقفون وراء العمليّة برمّتها.. وبشيء من التّعقّلِ ربّما استطاعَ هذا المخرجُ الحصولَ على نصٍّ آخر أفضلَ وأقربَ إلى الواقع..!!!

لكن هذا ما حدث... لقد جاءَ المشهدُ هزيلاً تافهًا لا يقنعُ مجتمعات القرون الوسطى في أوروبا، فكيف بعالَم القرن الواحد والعشرين، وثورة الاتّصال والتّكنولوجيا وشيوع المعلومات وتدفّقها عبر أنواع متعدّدة من الوسائط..؟؟؟ قديمةٌ والله، وسخيفةٌ أيضًا يا جماعة.

لقد أثارت وثائقُ ويكيليكس موجةً عارمةً من الشّكّ والقلقِ لدى الشّعوب الغربيّة، وتعالت الدّعواتُ إلى التّحقيق والمساءلة عن تلك الأحداث الدّامية والجرائم التّي حدثت تحت سمع وبصر القوّات الأمريكيّة في العراق.

كما تعالت الأصواتُ المناديةُ بالانسحابِ من أفغانستان، بعد أن باتت الأمورُ تتّجهُ نحو مستنقعٍ حقيقيٍّ ستغرقُ فيه أرجلُ عناصر القوات الأمريكيّة والدّولية هناك، وربما

تكرّرت مشاهدُ مشابهةٌ لما حدث للسّوفييت والجيش الأحمر في أفغانستان خلال ثمانينيّات القرن الماضي.

وهكذا، بعد وثائق ويكيليكس، صارت الإدارةُ الأمريكيّةُ في أمسّ الحاجة إلى قصصٍ إخباريةٍ تحلُّ محلّ فضائح الوثائق وفظاعتها وبشاعتها؛ فكانت الطّرودُ المفخّخةُ التّي احتلّت العناوين الرّئيسيّة في نشرات الأخبار، وصارت حديثَ العامّ والخاصّ في الدّول الغربيّة.

أسبابٌ أخرى قد تكون وراء سيناريو الطّرود...؟؟ وَجِهَاتٌ أخرى قد تستفيدُ من الضّجة الإعلاميّة، ومنها حكوماتٌ أوروبيةٌ تعاني مشاكلَ وأزمات، بينها فرنسا وساستها ومخلّفات وتبعات الإضرابات والمظاهرات الأخيرة على خلفيّة رفع سنّ التّقاعد..؟؟

لكنّ النّتائجَ المتعلّقةَ بنا تظلُّ هي الأجدرُ بالدّراسة والملاحظة، ومن ذلك مشاكلُ الصّحراء الكبرى وقضايا الاختطاف هناك، ودفع الفدية لتلك العصابات المسلّحة، وتداعيات ذلك على أمن دول المنطقة ومحاولات فرنسا التّدخل بأيّ شكل من الأشكال..!!!

لقد ذاقَ العالَمُ الطعمَ المُرّ لسنوات حكمِ الرّئيس الأمريكيّ الجمهوريّ السّابق جورج بوش، وهاهي فزّاعةُ الطّرود المفخّخة تتزامن مع فوز الجمهوريّين في انتخابات التّجديد النّصفيّ للكونغرس الأمريكيّ، واستحواذهم على عصا غليظة يلوّحون بها في وجه أُوبَامَا متى وكيف أرادوا..؟؟ ومن هذه المعادلة الجديدة ينبغي على المُسْتَهْدَفِين الحَذَرَ واستحضار جميع مهارات اللّعب الذّكيّ الذّي يتناسبُ مع معطيات المرحلة.

لقد صمدَ من صمدَ خلال العقد الماضيّ، وهكذا انكشفت كثيرٌ من الْأَلَاعِيب، وباتَ أغلبُ ساسة العالَم يدركون لعبةَ التّخويف التّي أدمنَها الإعلامُ الغربيّ.. **والْأَمَلُ كُلُّ الأَمَلِ أَنْ يَصْمُدَ الْجَمِيعُ هَذِهِ الْمَرَّة**، وَأَنْ تَرْتَفِعَ الأَصْوَاتُ لِتَقُولَ لاَ لِلاسْتِغْفَالِ فَعُقُولُنَا بِخَيْرٍ وعَافِيَة.

2010-11-13

أُوبَامَا مَرَّة أُخْرَى.. مَا الْجَدِيد..؟؟

رَغْمَ الحملةِ الانتخابيّةِ الشّرسةِ التّي عَرَفَهَا السّباقُ نحو البيت الأبيض، ورغم حجمِ الإنفاقِ غير المسبوقِ على الدّعاية؛ فإنَّ فَوْزَ بَارَاكْ أُوبَامَا بولاية ثانية لم يكنْ مفاجئًا جدًّا لسببٍ بسيطٍ هو طريقةُ تفكيرِ وسلوكِ الشّعبِ الأمريكيّ، الذّي تكرّرَ مرّات عدّة، حيثُ يفضّلُ التّمديدَ للرّئيسِ ومَنْحِه فرصةً أخرى لإكمال برنامجه.. وهكذا هاهو أُوبَامَا يواصلُ مِشْوَارَهُ، بعد أن أَفْسَحَ غَرِيمَهُ (مِيتْ رُومْنِي) الطّريق.

إذن عَادَ الرّجلُ الأفريقيّ الأصل إلى البيت الأبيض وهو أكثرُ عزمًا على تنفيذِ برنامجه كما قال عقب إعلان فوزه مباشرة.. ومع أنّ هذا البرنامجَ يتّجه في عمومه إلى الدّاخل الأمريكيّ فإنّ من حقّنا أن نتنفّسَ الصّعداءَ ونفرحَ لاستمرار حكم الدّيمقراطيّين، بعد أن رأينَا الويلات على مدى سنواتِ حكم الجمهوريّ جُورْج بُوشْ الابن.

ندركُ جيّدا أنَّ الفرقَ ضئيلٌ في السّياسة الخارجيّة الأمريكيّة بين الجمهوريّين والدّيمقراطيّين، وندركُ أيضا أنّ السّياسات الكبرى للولايات المتّحدة الأمريكيّة تصنعُها المؤسّسات، ويشتركُ في صياغتها الجميع، لأنَّ قيمةَ الوطن ومصالحه عندهم أقوى من الخلافات والنّزاعات الحزبيّة العابرة، وحتّى المزمنة..

لكن.. من حقّنا أن ننظرَ إلى ذلك الضّوء الذّي بدأ يظهرُ في آخر النّفقِ، من خلال سياسة الانسحاب البطيء من مناطق الصّراع والنّفوذِ التّقليديّ، التّي انتهجها أُوبَامَا منذ وصوله إلى البيت الأبيض.

إنّ دولةَ مؤسّساتٍ في حجم الولايات المتّحدة وتقاليدها في الحكم والسّياسة لن تغيّرَ اتجاه بوصلتَها بسرعةِ البرقِ تجاه قضايانا وفلسطين على وجه الخصوص، لكنّ في إمكاننا التّفاؤلَ بعض الشّيء لنتمكّنَ من الانطلاق من جديد والاعتمادِ على أنفسنا بعد تحصين قِلاَعِنَا من الدّاخل، والتّخلّص من فكرة أنّ أمريكا قدرٌ لا مفرّ منه إلى أَبَدِ الآبدين..!!

لقد وَجَّهَ الرّئيسُ بَارَاك أُوبَامَا في حفْلِ تنصيبه للولاية الرّئاسيّة الأُولَى كلماتٍ مباشرة لنا عندما قال: (.. وللعالَم الإسلاميّ أقولُ إنّنا نسعى إلى طريق جديد يعتمدُ على المصلحة المشتركة والاحترام المتبادل.. ولشعوب الأمم الفقيرة نتعهّدُ بالعمل إلى جانبكم لكي تزدهرَ مزارعُكم، وتجري المياهُ النّقيّةُ، ولتغذيّة الأجساد والعقول الجائعة.. وللأمم التّي تتمتّعُ شَأْنَ أمّتِنَا بالوفرة النّسبيّة أقولُ لا يمكننا أن نسمحَ بعد الآن بألاّ نُبَالِي بالمآسي خارج حدودنا، ولا يمكننا أن نستهلكَ موارد العالَم من دون أن نتنبّه إلى انعكاسات ذلك.. العَالَمُ تغيَّر وعلينا أن نتغّير).. كما وصفَ أُوبَامَا نفسَه في المناسبة ذاتِها بأنّه: (ابن

رجلٍ أسودٍ من كينيا وامرأةٍ بيضاء من كِنْسَاس.. درستُ في أفضل الكليّات وعشتُ في إحدى أَفْقَرِ أُمَمِ الدّنيا.. تزوجتُ من امرأة أمريكيّة سوداء تحملُ معها دم العبوديّة والرّق... عندي إخوة وأخوات وأبناء وبنات إخوة وأعمام وأخوال وأبناء أعمام وأخوال مفرّقين في ثلاثِ قارّات، ولن أنسى ذلك ما دمتُ حيًّا..).

لقد حَمَلَ أُوبَامَا معه خطابًا جديدًا وقَدْرًا من الاعتراف بالآخر، بما قد يعني اتجاهًا نحو هَجْرِ الثّقافة الأمريكيّة في السّياسة الخارجيّة حيث اللاّمبالاة التّامّة والمشي على جثث الآخرين لتحقيق المصالح...

ومع ذلك أذكرُ أنّ محلّلين معروفين من عالمنا، ومن المُرَحِّبِينَ بوصول أُوبَامَا إلى البيت الأبيض، قد استبعدوا حينها أيّ تغيّير جوهريّ قد يطرأُ على موقف أُوبَامَا من القضيّة الفلسطينيّة، وقالوا إنّ أيّ مواقف جديدة قد تتأجّلُ إلى الولاية الثّانية للرّجل لأنّه يخشى اللّوبي الصّهيونيّ في الولايات المتّحدة خلال الانتخابات الموالية...؟؟

والآن هاهو أُوبَامَا في ولايته الثّانية والأخيرة، فهل نتوقّعُ أن يجسّدَ خطاباته ووعودَه في إنصاف الآخرين والتّعامل معهم من خلال قِيَمٍ جديدة..؟؟

لا ينبغي أن نعودَ إلى عهود الأحلام الورديّة المُؤَسَّسَةِ على الأماني المجرّدة، لكنّ أُوبَامَا الأسود ابن حسين الأفريقيّ، سيظلُّ، وبالتّأكيد، مختلفًا عن أبناء البيض الذّين غامروا في القرون الماضية وغزوا العالَم الجديد، واستولوا على كلّ شيء، وطبّقوا سياسة (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض) لأنَّ كثيرًا منهم فرّوا من الاضطهاد الدّينيّ بعد أن ضاقت بهم القارّة الأوروبيّة، وهناك وجدوا أنفسَهم (مخيّرين) بين مساعدة السّكان المحليّين، الهنود الحمر، على التّواصل والمدنيّة، أو اختصار الطّريق عبر إبادتهم.. واختاروا الثّانية لأنّها الأسهلُ، والأقربُ إلى سلوكهم العدوانيّ، وهم القادمون من قارّة الحروب والنّزاعات ودماء ومآسي القرون الوسطى..!!

إنّ أُوبَامَا سيظلُّ مختلفًا نسبيًّا لأنّ جيناتَه كينيّة أفريقيّة رغم كلّ شيء، وإن تأثّرَ بأمّه البيضاء، إضافةً إلى أنّ بعضَ ذكرياته وطفولته في دولة مسلمة هي اندونيسيا، كما أنّه لا ينتمي إلى طبقة الأثرياء وأصحاب المال والمصالح الاقتصاديّة الذّين يرون العالَم من ثُقْبِ شركاتهم وأعمالهم وأرقامهم فقط، وإن مات الأطفالُ جوعا في أفريقيا وآسيا، وسالت الدّماءُ غزيرةً هنا وهناك..!!

إنّ الأحداثَ العالميّةَ والمشاحنات الاقتصاديّة بين القوى الكبرى تشيرُ بوضوحٍ إلى أنّ السّياسةَ الدّولية حُبلى بنظام جديد، وأنّ سنوات المخاض لم تعد بعيدة، إن لم تكن قد بدأت بالفعل، وهكذا قد تستمرُّ سياساتُ الانسحاب الأمريكيّ البطيء من المشهد الدّوليّ، ومن بعض المواقع التّي ظلّت واشنطن حاضرةً فيها منذ نهاية الحرب العالميّة الثّانية.

إنّ التّجربةَ الأمريكيّة في التّعامل مع الحكومات الجديدة في العالم العربيّ تحملُ ملامحَ مرحلةٍ مغايرة يختفي منها ذلك التّحالفُ المقزّزُ بين المصالح الأمريكيّة والأنظمةِ الشّمولية الحاكمة، وهو الأمرُ الذّي دفعتْ ثمنَه الشّعوبُ من حرّياتها واقتصاديّاتها، وحتّى من دمائها في بعض الأحيان.

قد لا يأتي ابن حسين أُوبَامَا في ولايته الثّانية والأخيرة بالعجائب.. **فَقَطْ يَكْفِينَا أَنْ نَشْهَدَ نِهَايَةَ ذَلِكَ الْحِلْف الشّيْطَانِيّ** الذّي أَقَامَهُ جُورْجْ بُوشْ الابْن مَعَ الْفَسَادِ والدِّكْتَاتُورِيَّةِ فِي كَثِيرٍ مِنْ بُلْدَانِنَا.. لَقَدْ وَلَّتْ مَرْحَلَةُ الاسْتِقْوَاءِ بِأَمْرِيكَا عَلَى إِرَادَةِ الشُّعُوبِ إِلَى غَيْرِ رَجْعَة.

2012-11-10

الْحُكَّامُ بَيْنَ الْإِنْسِ وَالْجِنّ

اندثرَ سياقُ الموضوعِ من ذَاكِرَتِي فقد كنتُ صغيرا، ولكنّني أتذكّرُ بوضوحٍ أمّي وهي تحدّثُ إحدى جاراتها أو صديقاتها... لقد رَوَتْ لَهَا، ولا أدري كيف بَلَغَتْهَا تلك الرّواية، أنَّ امرأةً من عالَمِ الجنّ كانت حزينةً على ابنتها التّي أدركَهَا الموتُ.. كانت تبكي وتنوحُ وتعبّرُ عن حَسْرَتِهَا، فقد ماتت الابنةُ شابّةً ولمْ تتمتّعْ بحياتها.. ماتت صغيرةً لم تتجاوز الخمسمائة عام.

حكايةُ الأمّ وابنتها الشّابّة بمقاييس الجنّ هي إحدى الأساطير الشّعبيّة، وغرائب وعجائب العالَم الآخر التّي تحتفظُ بها ذاكرة جيلنا، حين كانَ الغالبُ على الأسرة هو الاجتماعُ والحديثُ والسّمرُ، فأجهزةُ التّلفزيون كانت نادرةً في القرى والأرياف، ولم تصلْ بَعْدُ إلى ما نحن عليه اليوم، حيث صَادَرَتْ مِنّا تلك الجلسات الحميميّة الدّافئة، خاصّة في ليالي الشّتاء الباردة.

قصّةُ الأمّ الجِنّيّة وابنتها تقودُنا إلى الحديث عن الأعمار بين عَالَمَيْ الجنّ والإنس، وذلك التّفاوتُ في الأعمارِ يعيدُنا إلى الماضي البعيد جدًا حيث كانت الأعمارُ طويلةً إلى درجة لا تُقارن بأعمارنا في هذه الأزمان..!!

لقد حدثّنا القرآنُ الكريم عن النبيّ نوح عليه السّلام، ومع أنّه لم يذكر عمره بالتّحديد؛ فقد أخبرنا أنَّ مدّةَ دعوةِ نوحٍ لقومه بلغت ألف سنة إلا خمسين عاما...

إنّها قرونٌ طويلةٌ، وهي فترةُ الدّعوة فقط، فكم عاشَ قبل الدّعوة، وبعد الطّوفان حين رَسَتْ به السّفينةُ على الجوديّ... الله أعلم...؟؟

أعمارُ النّاسِ في الأزمانِ الغابرةِ كانت طويلةً إذن، أمّا في هذه الحقبة التّي نعيشها فالأمرُ مختلفٌ تمامًا، فالأعمارُ بين السّتّين والسّبعين في الغالب، أو هذا ما نفهمُه من الحديث النّبويّ الشّريف، حين أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ أعمارَ أمّته في هذه الحدود.

سرحتُ مع عالَمِ الأعمارِ ومن سَلَفَ على كوكبِ الأرض وأنا أقرأُ خبرًا عن الرّئيس الكوبيّ رَاؤُولْ كَاسْتْرُو، وإعادةِ انتخابه على رأسِ مجلسِ الدّولةِ، الهيئة العليا في السّلطة التّنفيذيّة الكوبيّة..!!

رَاؤُول الذّي ورث السّلطةَ عن أخيه فِيدَلْ كَاسْتْرُو قبل خمس سنوات، سيرأسُ الهيئةَ العليا في السّلطة التّنفيذية الكوبيّة لولاية ثانيّة..؟؟

والخبرُ عاديٌّ إلى حدّ الآن، لكنّه يتطوّرُ إلى حالةٍ غير عاديّة عندما يُذيّلُ بإعلانِ الرّجلِ عن نيّته ترك السّلطة بعد انتهاء هذه العهدة الرّئاسية عام 2018، والسّببُ هو رغبتُه في إفساح المجال للأجيال الجديدة..!!!

إذن هي مفاجأةٌ من العيار الثّقيل ربّما اعتقد كَاسْتْرُو الأخ أنّه فجّرَها على الملأ، خاصّة أنّ تجربةَ أخيه لا تبشّرُ بشيءٍ على شاكلةِ التّنازلِ أو التّسليم؛ فقد حَكَمَ فِيدَلْ كُوبَا من عام 1959 إلى غاية 2008، ولم يتنازلْ عن منصبه إلا بعد أن أَقْعَدَهُ المرضُ، وحَدَّ من قدراته على الحركة والحديث والتّواصل..!!

وعلى أيّ حال ومهما كان المشهدُ في هَرَمِ السّلطةِ بكُوبَا، فإنَّ مقارنةً عابرةً بين تركيبة الحكم الآن، وما كانت عليه قبل خمس سنوات عندما جلس رَاؤُولْ كَاسْتْرُو على كرسيّ الحكم؛ تشيرُ إلى بعض التّغيير الإيجابيّ، وأقصدُ تحديدا متوسّط الأعمار، ودخول عناصر تُعْتَبَرُ شَابَّةً إلى حدّ كبير قياسا بالقيادات المتقدّمة في السنّ.

التّشكيلةُ الجديدةُ التّي سترافقُ رَاؤُول في عهدته الثّانية تتكوّن من (ميغيل دياز كانيل) كنائب أوّل لرئيس مجلس الدّولة ويبلغ من العمر اثنين وخمسين عاما، ومن بين النّواب الخمسة أيضا (مرسيدس لوبيز اسيا) وهي امرأة وصلت إلى سنّ الثّماني والأربعين سنة، ومع أنّ الرّجل الثّاني في النّظام سابقا (خوسيه رامون ماتشادو فينتورا) البالغ من العمر اثنين وثمانين عاما تنازلَ عن مكانه كنائب أوّل للرّئيس، لكنّه ظلّ من بين النّواب الخمسة، وحَافَظَ نائبان آخران على موقعيْهما، وهما الزّعيم التّاريخيّ (راميرو فالديز) ويبلغ من العمر ثمانين عاما، و(غلاديس بيخيرانو) وعمره الآن ستّة وستّون عاما..!!!

مشهدٌ كوبيٌّ جديدٌ يسيطرُ عليه المُعَمّرُونَ مرّةً أخرى، وإن كان الحالُ أفضل بعض الشّيء من ناحية النّواب، فالسّيد رَاؤُول كَاسْتْرُو قد تجاوز الثّمانين بعامٍ في بداية هذه العهدة، ومعه في النّيابة من هو في حدود الثّمانية والأربعين والاثنين والخمسين سنة، وهو

تقدّمٌ يُحْسَبُ للقائمين على الحكم في كُوبَا إذا عُدْنَا إلى بداية عهدة رَاؤُول الماضية، عندما كان عمر الرّجل ستةً وسبعينَ عامًا وأكبرُ نوابه في الثّمانين وأصغرهم في الثّالثة والسّتين..!!

كتبتُ قبل خمس سنوات، وفي هذه الزّاوية، مقالاً حَمَلَ عنوان (كُوبَا وظاهرة الانقراض) وقلتُ في آخره: (خمسة نوّاب للرّئيس الجديد... أصغرهم يبلغ من العمر ثلاثة وستّين عاما، ولا ندري هل تختلفُ مفاهيمُ الشّباب والشّيخوخة بيننا وبين الكوبيّين؟ وهل يوجدُ في كُوبَا اليوم رجالٌ وسياسيّون في الثّلاثينيّات والأربعينيّات من أعمارهم؟ أم أنّ هؤلاء النّواب الخمسة هم أصغر الأحياء سنّا في جزيرة كُوبَا؟ وهل يعني هذا أنّ ظاهرةَ الانقراض قد بدأت زحفَهَا على الشّعب الكوبيَ؟... الله أعلم.. لكن... لله في خلقه شؤون).

واليوم وبعد أن صارَ رَاؤُول كَاسْتْرُو يَرْنُو بِبَصَرِهِ نَحْوَ التّسعين، أعودُ لأتساءلَ من جديد عن نظرةِ أمثالِ هؤلاء الحكّام، ومنهم بعض حكّام الدّول العربيّة، إلى موضوع الأعمار والأجيال والتّداول وتسليم السّلطة والخلود إلى الرّاحة والشّيخوخة الهادئة، وإن كانوا يعتقدون، دون أن ندري عن ذلك شيئا، أنّ أعمار النّاس في هذا الزّمان هي نفسَها كما كانت خلال الحقب البعيدة الغارقة في الزّمن الغابر... حين كانت الأعمارُ تصل إلى مئات السّنين، وربّما الآلاف..!!!

لاَ أَدْرِي رُبَّمَا يُفَكِّرُ بَعْضُ حُكَّامِنَا وَمَنْ حَوْلَهُم عَلَى طَرِيقَةِ الْجِنِّ وَأَعْمَارُهُم التِّي تُجَسِّدُهَا قِصَّةُ تِلْكَ الْجِنِّيَّةِ الشَّابَّةَ وَبُكَاءِ أُمِّهَا عَلَيْهَا لِأَنَّهَا مَاتَتْ فِي رَبِيعِ الْعُمْرِ، **فَهِي لَمْ تَتَجَاوَز الْخَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ فَقَطْ..؟؟!!**

2013-03-03

بُوسْطُن.. الارْهَابُ وَالْمُفَارَقَة

مُنْذُ هجمات الحادِي عشر من سبتمبر عام ألفين وواحد لم تشهد الولاياتُ المتّحدة الأمريكيّة أيَّ حدثٍ مُرَوِّعٍ يشغلُ الحكومةَ والإعلام والمواطنين على السّواء.. وهاهو كيانُ تلك الدّولة القويّة يهتزُّ ويتأرجحُ على وَقْع تفجيريْن صغيريْن مقارنةً بما حدث قبل اثني عشر عامًا في بُرْجَيْ مركز التّجارة العالميّ بنيويورك ووزارة الدّفاع في واشنطن.

لا شماتةَ في الموت، وقد لقي ثلاثةُ أفرادٍ حَتْفَهُم في تفجير ماراثون بُوسْطُنْ وقُتِلَ، لاحقا، شرطيٌّ في تبادلٍ لإطلاق النّار مع المتّهمين بالتّفجير.. لكنّنا لا نستطيعُ منع أنفسَنَا من الاحساسِ المُرِّ بالمفارقةِ، نحنُ سكّانُ العالم الثّالث والعالم العربيّ على وجه الخصوص، لأنّ أحداثًا جِسَامًا نتابعها يوميًّا في عدد من الدّول العربيّة خاصّة سوريا والعراق، ونُعَاينُ على أرضِ الواقعِ أو عبر الشّاشات ذلك العدد الكبير من الضّحايا الأبرياء وحجم الدّمار الماديّ والاجتماعيّ الذّي تتسبّبُ فيه أحداث التّفجيرات والمعارك والاغتيالات والإعدامات الميدانيّة والقتل على الهويّة، وغيرها من أصناف التّرويع التّي خلّفتها التّدخّلات الأمريكيّة في بلداننا..!!!

وهكذا فليعذرنا الشّعب الأمريكيّ إذا لم نضع أحداثَ بُوسْطِنْ على نفس درجة الأهميّة التّي يضعونها فيها، وليعذرنا الزّملاءُ الصّحفيّون هناك بعد أن تقهقرَ ترتيبُ الخبرِ في قنواتنا الفضائيّة العربيّة مباشرة بعد اليوم الأوّل للحادثة، وعادت مصائبُ أمّتنا في سوريا من جديد، لتحتلّ مكان الصّدارةِ في الأخبار وتصنعَ العناوين الأولى بامتياز.

المثيرُ الذّي لَفَتَ نَظَرَ المحلّلين العرب في أحداث بُوسْطُنْ هو تريّثُ الرّئيس الأمريكيّ في أوّل ظهور تلفزيونيّ له بعد الحادثة، حيث تحكّمَ الرّجلُ في مشاعره، أو هذا ما اتّفقت عليه دوائر الحكم عندهم...!!

تَرَيَّثَ أُوبَامَا وقال: (لم نعرف بعد من فَعَلَ هذا أو لماذا، ويجب ألاّ يتسرّعَ أحدٌ في الاستنتاج قبل أن نعرفَ كلّ الحقائق.. ولكن لا يخطئنّ أحدٌ، فسوف نتوصّلُ إلى حقيقةِ ما حَدَثَ وسنعرفُ من فعلوا هذا ولماذا فعلوه.. سنكشفُ هويّةَ من قام بهذا العمل وسنحاسبه)..؟؟

نعم لقد تريّثَ الرّئيسُ الأمريكيُّ ولم يوجّه كلامَه للقاعدة أو المتشدّدين من العالم الإسلاميّ، ولم يلجأ مباشرةً إلى وصفِ ما حدث بالعمل الإرهابيّ، خاصّةً أنّ الإرهابَ في اصطلاحهم لا يعني سوى العربيّ والمسلم في أيّ مكان كان..!!!

نعم لقد أثارت نبرةُ الغموضِ وعدم توجيه الاتّهامات تساؤلات عدّة، وأَرْجَعَهَا بعضُ الخبراء بالشّأن الأمريكيّ إلى علمِ الإدارةِ الأمريكيةِ بتورّطِ جهاتٍ داخليّةٍ في

هذه التّفجيرات مهما كان شكل أو لون أو أصل المنفّذ، وعَادَ بها آخرون إلى منتصفِ العشريّةِ الأخيرةِ من القرن العشرين عندما فَجَّرَ أميركيٌّ أبيض، يُدْعَى تيموثي ماكفي، مبنًى فيدراليًا في مدينة أُوكْلاَهُومَا جنوب غربيّ الولايات المتّحدة الأمريكيّة، وَرَاحَ ضحيّة ذلك الانفجار الرّهيب المئات بين قتيلٍ وجريح؛ حيث ظلّت إدارةُ الرّئيس الأمريكيّ الأسبق بِيلْ كْلِنْتُون في ذلك الوقت تبحثُ عن الجَانِي، ولمدّة عشرة أيّام، دون توجيه أيّ اتّهام مباشرٍ لأَيِّ جهة، لأنّ معلوماتها كانت تفيدُ أنّ منفّذَ الجريمةِ شابٌّ أشقرٌ يضعُ وَشْمًا على يديه.

فهو لا ينتمي إلى طِينَةِ العربيّ المسلم إذن..!!

والخلاصةُ أنّ إدارة بَارَاك أُوبَامَا، أو أُوبَامَا على الأقلّ، مثّلت دَوْرَ التّلميذ الذّكيّ الذّي يستفيدُ من الدّروسِ السّابقةِ ولا يقعُ في المطبّات ذاتها مرّة بعد مرّة، كما هو دأب الأغبياء والمغفّلين؛ ففي تفجيرِ أُوكْلاَهُومَا تورّطت وسائلُ الإعلامِ الأمريكيّةِ في اتّهام جهات عربيّة وإسلاميّة، ليتبيّنَ لاحقًا أنّ مواطنًا أميركيًا أصيلاً هو من نَفَّذَ الهجوم..!!

ربّما نشعرُ بالامتنان للرّئيس الأمريكيّ بَارَاكْ حُسِين أُوبَامَا على هدوئه بعد أحداث بُوسْطِن وعدم مسارعته إلى اتّهام العرب والمسلمين عبر استخدام تعبير الإرهاب والإرهابيّين، والمدلولات التّي تحملُها مثل هذه الكلمات في الثّقافة الأمريكيّة التّي صاغها الإعلام الأمريكيّ بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر...

لكنّ هذا غير كاف على الإطلاق..؟؟ فما نريدُه، نحنُ العربُ والمسلمون، هو محو تلك الصّورة النّمطيّة التّي رَسَمَهَا الغربُ عنّا، فصارَ القتلُ والإرهابُ والإجرامُ مُلاَزِمًا لَنَا...!!!

لقد أشارَ مسؤولٌ أمريكيٌّ إلى أنّ أيَّ حادث بشحنات متفجّرةٍ متعدّدةٍ هو عمل إرهابيّ، وسيتمُّ التّعامل معه كذلك.. وتمنّيتُ لو أنّه أكملَ الجملة بقوله: (حتّى لو كان المنفّذ أمريكيًّا من أحفاد جورج واشنطن).. ذلك الزّعيم الذّي قادَ جيشَ الثّورة

الأمريكيّة وانتزع الاستقلال من بريطانيا العظمى، وعُرف بِأَبِي الولايات المتّحدة، وكانَ أوّل رئيسٍ لها.

نريدُ هذه اللّهجة الواضحة من الإدارة الأمريكيّة في التّعاطي مع حوادث الإرهاب، حتّى نبدأ رحلة نسيان سنوات الإهانة الطّويلة التّي تَعَرَّضْنَا لها في ديارنا، وفي المَهَاجِر القريبة والبعيدة حين اعتقدنا أنَّ مستويات الحرّية والدّيمقراطيّة فيها كفيلةٌ بحفظِ حقوقنا ومساواتنا مع الآخرين.

ومن زاوية أخرى: لا حاجةَ إلى تريّثِ الرّئيس الأمريكيّ في أوّل ظهورٍ له بعد أحداث ماراثون بُوسْطُن، وكان من الطّبيعيّ أن يصفَ ما حدث بالعمل الإرهابيّ، لأنّه أَرْهَبَ فعلاً جَمْعًا كبيرًا من النّاس، وأَفْسَدَ عليهم احتفالَهم الرّياضي الذّي يُقام كلّ عام في (يوم الوطنيّة)، تلك العطلة الرّسميّة في ولاية ماساتشوستس الأمريكيّة.

نعم.. إنّه إرهابٌ لأنّه أَدْخَلَ الخوفَ والرّعبَ في قلوبِ الآلاف، وربّما الملايين.

لكنّنا نتطلّعُ إلى أن يعمَّ هذا التّوصيفُ جميعَ الأحداث والتّفجيرات المشابهة والأعمال الإرهابيّة التّي تشتركُ فيها دولٌ ومنظّماتٌ، وتشرّدُ وتقتلُ الأبرياء وتصادرُ حقوقَهم في الحياة الكريمة تحت مسمّيات وذرائع عديدة..؟؟

نريد أن يعمَّ وصفُ الإرهابِ على كلّ من يقتلُ النّاسَ ويروّعُ الآمنين.. ونريدُ كَشْفَ المستور ومن ثمّ الحديث بكلّ وضوحٍ حول الإرهابِ الاقتصاديّ والماليّ والغذائيّ والثّقافيّ والإعلاميّ..!!!

أَمَّا أَنْ نَتَحَدَّثَ عَنْ قُنْبُلَةٍ يَدَوِيَّةِ الصُّنْعِ **وَنَسْكُتُ عَنْ سِيَاسَاتٍ مُنَظَّمَةٍ لِإِبَادَةِ شُعُوبٍ كَامِلَةٍ..** فَذَلِكَ أَمْرٌ شَنِيعٌ تَأْبَاهُ جَمِيعُ الادْيَانِ وَالْفَلْسَفَات.

2013-04-21

التَّرَاجِيدْيَا الْفَرَنْسِيَّة

إِحْمَرّ وجهُ الإِلِيزِي، وَمَنْ فِيهِ، وَحُقّ له ذلك فالخَطْبُ عظيمٌ والمصابُ أليمٌ والقتلُ كما جاء في الإعلان الفرنسيّ الرّسميّ تمَّ بِدَمٍ بَارِدٍ، والمقصودُ، ربّما، أنَّ القَتَلَةَ لم يُرَاعُوا حرمةَ مهنةِ الصّحافةِ والحقّ في الوصول إلى مصادر الخبر، كما غابت عنهم، على ما يبدو، أيُّ مشاعر إنسانيّة تجاه الضّحايا وعائلاتهم وزملائهم وأصدقائهم.

إنّها حادثةُ مقتلِ الصَّحَفِيَّيْن الفرنسيّيْن كلود فيرلون وغيسلان دوبون، من إذاعة فرنسا الدّولية، حيث خطفتهما، مؤخّرا، مجموعةٌ مسلّحةٌ في مدينة كِيدَال شماليّ دولة مَالِي، وقَتَلَتْهُما رميًا بالرّصاص، والمفارقةُ، أو اللّغزُ ربّما، أنَّ أربعةَ رهائن فرنسيّين أُطْلِقَ سراحُهم قبل أربعة أيّام فقط من عمليّة الخطفِ والقتلِ هذه..؟؟

ردُّ الفعلِ الفرنسيِّ الرّسميِّ الغاضب والمتوعّد بالانتقام لن يكون بالضّرورة من أعماق القلب، كما يحدثُ عندنا نحن معاشر الشّرقيّين عندما نُخْلِصُ المشاعرَ حكّامًا أو محكومين... فالحسابات السّياسيّة والانتخابيّة عند القوم حاضرةٌ بقوّة..

لأنَّ احترامَ دماء وأرواح أفراد الشّعب، مهما كانوا وأينما حلّوا، تُحتسبُ في الأرصدةِ الانتخابيّةِ للسّياسيّين، ولو بعد حين، فذلك الاحترامُ صارَ من القِيَمِ الأساسيّة عند تلك الشّعوب بعد الحروب الطّويلة، وآخرُها الحرب العالميّة الثّانية وما حدثَ فيها من مآسي وويلات... وبالتّالي تحاسبُ الشّعوبُ السّياسيّينَ على ذلك.

وهكذا يُحَمَّلُ المسؤولون في الدّول الغربيّة أيَّ تقصيرٍ أو تهاونٍ، وينتظرُ الشّعبُ كلماتهم وتصريحاتهم المتعاطفة والحزينة، وتعازيهم سواء لأُسرة الصّحافة في مثل هذه الحالة، وأُسَرِ وأقارب وأصدقاء الضّحايا، وحتّى لأفراد الشّعب عامة.

ومع ما سَبَقَ سوف أفترضُ أنّ المسؤولين الفرنسيّين كانوا في غايةِ الصّدقِ وهم يعلنون حزنَهم على الضّحايا، ومن ثمّ نتعاطفُ معهم في مصابهم، خاصّةً أنّ القتلى ليسوا أفرادًا في جيشٍ نظاميّ يحملُ المدافع والرّشاشات، ويحرّكُ الطّائرات والدّبابات للقضاء على الأخضر واليابس، وتحويل حياة النّاس إلى صور من المتاعب والمآسي التّي تخلّفُها الحروبُ، مهما قِيلَ عن سُمُوّ أهدافها أو سعيها للقضاء على هذا الطّرف المجرم أو ذاك..!!

ومع هذا التّعاطف أودُّ القولَ بأنّنا شعوبٌ عانت الظّلمَ والقتلَ وذاقت مرارةَ التّآمر الدّاخليّ والخارجيّ، واكْتَوَتْ بنيران الاستعمار والغزو الوحشيّ، والأساطيل التّي تجوبُ البحارَ وتهاجمُ السّواحلَ والحواضرَ، وتحرقُ وتذبحُ وتأسرُ وتنتهكُ الحرمات، وتحاصرُ لسنوات طويلة، وتذيقُ النّاسَ ألوانًا من الجوع والخوف.. وكتبُ التّاريخ مشحونةٌ بمثل

هذه الأحداث خاصّة على سواحل المغرب العربيّ خلال حقبة الحروب البحريّة التّي تَلَتْ سقوط الأندلس...؟؟

وهكذا من حقّنا أن ننظرَ إلى الأمرِ من زاوية أخرى..

إخوانَنا في عاصمة الجنّ والملائكة، ومرتعِ الأدبِ الرّومانسيّ الرّاقي الذّي نستمتعُ بقراءته: إنّنا نقدّرُ مشاعرَكم، خاصّة الصّادقين والعفويّين منكم.. لكنّ الصّدقَ يقتضي منّا التّصريحَ في وجوهكم بالحقيقة:

أنتم القتلةُ في واقع الأمر، وإن لم تطلقوا الرّصاصَ على الصّحفيَّيْن الاثنيْن في مدينة كِيدَال المَالِيَة..؟؟

أنتم الذّين صنعتهم المناخَ الملائم للقتل والإرهاب في دول أفريقيّة عديدة بينها دولة مَالِي، لأنّكم استعمرتم العبادَ واستنزفتم الخيرات والثّروات، وجَثَمْتُم سنينَ طويلة على صدور الشّعوب، ولمّا خرجتم زرعتم قنابلَ موقوتةً عبر الحدود المتداخلة والقبائل والاثنيّات المقسّمة بين الدّول..!!

وظلّت تلك القنابلُ تنفجرُ تباعًا كأنّكم تتحكّمون بها عن بعد، محاكاةً لما يُعرف في عالم القتل والدّمار بالمفخّخات، أو تنتدبون من يفجّرُ نفسَه لينفجرَ الوضعُ به كما يفعل الانتحاريّون..!!!

إنّ إرهابَ آبائكم وأجدادكم في الجزائر ما زال ماثلاً للعيان، وما زلنا نعاني من آثاره المدمّرة، ومع ذلك تستكبرون حتّى الآن عن مجرّد الاعتراف به والاعتذار عنه، وإن كان اللّومُ على ساستنا في الأساس لأنّهم فشلوا في صناعة الطّلب القويّ والمناسب، وتمريره من الجهات والمنافذ التّي يؤلمكم المساسُ بها، وهي مصالحكم الثّقافيّة والاقتصاديّة والأمنيّة..!!

فأين حضارتكم وأين شجاعة فرسانكم..؟؟ بل أين إرث الثّورة الفرنسيّة والقِيَم التّي قامت عليها..؟؟

اعترِفُوا لتطمئنَّ الخواطرُ وتهدأَ النّفوس... ثمّ يفتحُ الجميعُ صفحةً جديدةً تَكْتُبُ تاريخًا مغايرًا لضفتي المتوسّط، بالنّسبة لنا على الأقلّ، فرنسا والجزائر.

أيّها الفرنسيّون: لا تبالغوا كثيرا في إدانة الإرهاب لأنّكم من صُنَّاعِه وسَدَنَتِه، بشكل غير مباشر على الأقلّ.. وقَاتِلُ الصَّحَفِيَّيْن، كلود وغيسلان، قد يكونُ ضمن أجندة سياسيّة دعمتموها في أيّام سابقةٍ أو دَعَمَهَا حلفاؤكم، وقد يكون القاتلُ مجرّد شخص عاديّ فَقَدَ أبًا أو أخًا أو ابنًا بفعل طائراتكم وقنابلكم ورصاص جنودكم في مَالِي..!!!

قد يكون الأمرُ كذلك، لما لا..؟؟ راجعوا أرشيفَكم وملفّاتِكم وذاكرتَكم القريبة والبعيدة، واسألوا أنفسكم بِصِدْقٍ عمّا قدّمتم لأفريقيا غير الاستعباد والاستغلال، ودعم الاستبداد والفساد..!!

لقد غادرتم البلادَ عسكريًا، لكنّكم واصلتم استغلالها سياسيًا واقتصاديًا، ولم تُدَاخِل قلوبَكم ذرّةُ رحمةٍ تجاه تلك الشّعوب التّي تعاني الأمراض والأوبئة والمجاعات والحروب، وكان المقياس عندكم يدورُ دائما حول حجم الثّروات التّي تصلُ إليكم لتحرّك دواليب اقتصادكم الجشع..!!

أيّها الفرنسيّون: متى تتوبون من داء التّعالي على الإنسان الإفريقيّ، وتنظروا إليه بالتّالي على أنّه إنسانٌ مثل غيره من سكّان المعمورة، بل ومثلكم أنتم تماما.. وهكذا يستحقُّ أن يتصرّفَ في ثرواته، وأن ينتخبَ حكّامَه بشفافية، وأن يتمتّعَ بالحرّية والدّيمقراطية وحقوق الإنسان، ويرى مؤشّرات اقتصاد بلاده تتحدّثُ عن النّمو وارتفاع الدّخل وتراجع البطالة والمديونيّة وما شابه ذلك..؟؟؟

هل الديمقراطية حِكْرٌ على لَوْنٍ وَجِنْسٍ ومنطقة..؟؟؟ أما بقيّة دول وشعوب العالَم فعليها القبول بدور فئران التّجارب في مخابر مصالحكم وسياساتكم المغرقة في الأنانيّة..!!!

وأخيرا فإنّ حادثةَ القتل هي تراجيديا لنا في عالَم الصّحافة، لأنّنا نتعاطفُ مع أيّ صحفيّ يحملُ قلمًا أو آلة تصوير ويجري وراء الحقيقة.. **لَكِنَّ التّرَاجِيدْيَا الاعْظَم تَتَّضِحُ أكثر فِي أفْرِيقْيا** عِنْدَمَا تَسْتَمِرُّ السِّيَاسَةُ الفَرَنْسِيَّةُ فِي صِنَاعَةِ جُسُورٍ اقْتِصَادِيَّةٍ مِنَ الدَّمِ وَاللَّحْمِ الْبَشَرِيِّ الْخَالِص.

2013-11-10

هُولاَنْد لاَ يَخَافُ مِنَ الإِرْهَاب

لا أجدُ في نفسي شغفًا لمتابعةِ الفضائح حتّى لو تعلّقت ببعضِ المشاهيرِ الذّين يدفعون في الغالبِ أثمانًا باهظةً لِتَرَفِهِم وانفلاتهم وضربهم القيمَ بعرض الحائط.. ومع ذلك اضطرُّ لقراءةِ الحدِّ المطلوبِ من أخبارِ فضائح الرّؤساء والمسؤولين الكبار لأنّها تعبّرُ عن جزءٍ لا يكادُ يتجزّأ من المشهدِ السّياسيّ العامّ في هذه الدّولة أو تلك.. وهذا ما حدثَ مع فضيحةِ الرّئيسِ الفرنسيّ فْرَانْسْوَا هُولاَنْد.

الخصوصيّاتُ خطّ أحمر ولا ينبغي الخوض فيها، لكنّها تتحوّلُ إلى شأنٍ عام عندما تتعلّقُ برجلٍ يقودُ مؤسّسةً سياسيّةً أو اجتماعيةً لها تأثيرُها المباشر على حياة النّاس.. ومن المعلوم أنّ أيّ مجموعةٍ من العقلاء لن تقبلَ الركوبَ في طائرةٍ أو سفينةٍ يقودُها من لا يتمتّعُ بالحدِّ الأدنى من المسؤولية والكفاءة والنّزاهة والانتباه إلى قِيَمِ المجتمع العامّة.

الإعلامُ وَصَفَ الفضيحةَ، التّي تعرّضَ لها الرّئيسُ الفرنسيُّ مع مطلع العام الجديد، بالمزدوجة، حيث انكشفَ للرّأي العامّ الفرنسيّ أنّ للسّيد الرّئيس عشيقةً تعيشُ في قصر الإليزي، ويخدمُها طاقمٌ يتكوّن من خمسة أفراد، وقد وضعَهَا الرّئيسُ مكانَ السّيدة الأولى.. وتَمَثّلَ الوجهُ الثّاني للفضيحة في كون هذه العشيقة طريحةَ الفراش في المستشفى دون أن تحظى بزيارة هُولاّند الذّي يُضبَطُ خارجًا من بيتِ عشيقةٍ أخرى هي فنّانةٌ معروفة..!!!

القضيّةُ فجّرَهَا مصوّرٌ معروفٌ سبقَ له أن هزّ فرنسا بفضيحةٍ أخرى حين أعلنَ أنّ للرّئيس فْرَانْسْوَا مِيتِرَانْ ابنةً غير شرعيّة، وكشفَ عام 1994 عن صُوَرِهَا في إحدى المجلاّت.

والمصوّرُ المدعو سيباسيان فالييلا صرّحَ بأنّ الثّمنَ الذّي باعَ به صورَ فْرَانْسْوَا هُولاّند، وهو خارجٌ من بيت الفنّانة غاييت، لمجلّة كلورز لا يساوى قيمةَ جهده، حيث ظلَّ يتابعُ الرّجلَ الأوّلَ في فرنسا منذ قرابة العشرة أشهر..!!!

الفضيحةُ في حدّ ذاتها قد لا تعني الكثيرَ للمجتمع الفرنسيّ من جانبها الشّخصيّ البحت، لأنّ العلاقات خارج الزّواج شائعة بين النّاس هناك، إن لم تتحوّل إلى حالةٍ طبيعيّةٍ عند قطاعٍ معتبرٍ منهم، لكنّ ما يزعجُهم هو تصرّفُ الرّجل المسؤول عنهم بهذه الطّريقة، حيث الخداع بالنّسبة لحالة العشيقة الأولى، حين وضعَها في محلّ السّيدة الأولى وأنفقَ عليها من الأموال العامّة، ثمّ الإهمال واللاّمبالاة عندما راحَ يجري وراء عشيقةٍ أخرى بينما تقبعُ الأولى في المستشفى.

وقضايا القفز على قِيَمِ الأسرة والتّوسّع في العلاقات الآثمة قد تبدو عادية للفرنسيّين وهذا أمرٌ يخصّهم وحدهم، وإن أظْهَرْنَا الحزنَ، نحن معاشر أهل الشّرق، على المستوى المتدنّي الذّي وصلت إليه مؤسّسةُ الأسرة في بعض المجتمعات الغربيّة، بسبب تغوّل دورِ الدّولة وافتكاكها لعددٍ من مهام الوالدين والجَدّيْن وبقيّة أركان الأسرة بمفهومها الأوسع.

ومن هذا المنطلق أجدُ نفسي منساقًا نحو التّركيزِ على ما يعنينا فقط في فضيحة الرّئيس فْرَانْسْوَا هُولاَنْد، وتحديدا ما عبّرَ عنه المصوّرُ الفرنسيُّ، مفجّر الفضيحة، حين قالَ إنَّ أشدَّ ما صَدَمَهُ أنّ الرّئيسَ يدخلُ بيتَ الفنّانةِ من دون أدنى احتياطات، وهذا مقارنةً بابنة فْرَانْسْوَا مِيتِرَانْ التّي كان رفقتها خمسة عشر حارسا يسهرون على سلامتها، بينما يقتحمُ هُولاَنْد بيتَ عشيقته الفنّانة في ظروفٍ أمنيّةٍ منعدمة..!!!

فالمصوّرُ، على حدّ قوله، لم يجد صعوبةً في التقاط صورِ الرّئيسِ لأنّه أتى وحده ممتطيًا درّاجةَ سكوتير..؟؟

الذّي يعنينا هو خروجُ الرّئيس الفرنسيّ، سيّد الإليزي، وحده دون حراسة ظاهرة أو خفيّة..؟؟

وقد يقولُ قائلٌ: وما أدراكَ عن العناصر السّرّية التّي طوّقت المكانَ وتَفَحَّصَتْهُ بعيونها قبل وصولِ السّيد إلى بيت العشيقة..؟؟

والجوابُ في كلامِ المصوّرِ الفرنسيّ العارفِ بشؤون بلاده، والذّي قَارَنَ بين تصويره لهُولاَنْد الآن و(ابنة) الرّئيس مِيتِرَان قبل عشرين عاما، حينَ قالَ إنّ طَاقَمًا من الحرّاس يسهرُ على سلامتها.. وسأسمحُ لنفسي بالقولِ إنّ أولئك الحرّاس كانوا سرّيّين وقد عرفَهم المصوّرُ بخبرته، فلو كانوا ظاهرين للعيان بلباسِ الشّرطة أو أيّ شركة (حراسات خاصّة)؛ فلن يرفعَ مصورٌ أو صحفيٌ عقيرتَه ويدّعي أنّه حقّقَ سَبْقًا قلّ نظيره بكشف هوية (ابنة) مِيتِرَان، فهي باديةٌ للعيان بحَشَمِها وخَدَمِهَا وحُرَّاسِهَا.

هنيئًا للرّئيس الفرنسيّ وشعبه بهذا المستوى العالي من الأمن والأمان والرّاحة والطمأنينة التّي تجعلُ سيّد الإليزي يدخلُ ويخرجُ من بيت العشيقة دون أيّ مظاهر أمنيّة وبروتوكولات، ومن يدري قد لا تكون هذه الحالة هي الوحيدة، فربّما كان

الرّجلُ مدمنًا على ذلك الدّخول والخروج منذ شهور، وهذا شأنٌ يعني الرجلَ بالدّرجةِ الأولى، ثمّ الشّعب الفرنسيّ بعد ذلك.

لكن... مهلاً... لماذا صدّعتم رؤوسَنا لسنوات طويلة بأحاديثكم عن التّهديدات الإرهابيّة القادمة من بلداننا، وتحديدًا السّاحل والصّحراء، وشَحَنْتُمُ الرّأيَ العامّ الدّوليّ، والفرنسيّ قبل ذلك، ثمّ خضتُم حربًا في دولة مَالِي وأجبرتم دولَ الجوار على التّعاون معكم بشكل أو بآخر، وفي الجزائر انتهكتم مجالنا الجويّ، وإن كان بِإِذْنٍ من بِكَارِنَا.. لسببٍ واحد هو الإرهاب الذّي يهدّدُكم في عقر داركم ولابدّ من ضربه وتجفيف منابعه..؟؟؟

إذن... فرنسا تخوضُ حربًا ضدّ الإرهاب العالميّ، ورئيسُها يتحرّكُ دون حراسة..!!!

الأمرُ لا يخرجُ من ثلاثة احتمالات: إمّا أنّ الرّجلَ مجنونٌ أو متهوّرٌ على الأقلّ، والسّؤال: كيف انتخَبَهُ الشّعبُ الفرنسيّ ورَضِيَت عنه النّخبةُ السّياسيّة..؟؟

وإمّا أنّ السّيد الرّئيس ليس هدفًا للجماعات الإرهابيّة، وهو الذّي أصدَرَ الأوامرَ بالقضاء عليها..!!

وإمّا أنّ هذه الجماعات لا تحسنُ الرّصدَ كما فعلَ المصوّرُ، بل لا تملكُ من مقوّمات القوّة إلاّ الخطفَ السّهلَ في الصّحراء والبيانات على شبكة الانترنت، بل هي أشكالٌ ورقيّةٌ رَسَمَهَا مجهولون لأداء دورٍ محدّدٍ بدقّة..!!

إنّ هُولاَنْد لاَ يَخَافُ مَنَ الإرْهَاب.. ولِطَرَافَةِ المُفَارَقَةِ تَذَكَّرْتُ عُنْوَانَ دَرْسٍ فِي كِتَابِ السَّنَةِ الثّانِيَةِ ابْتِدَائِيٍّ، عَلَى عَهْدِنَا، عُنْوَانُه: مَالِكٌ لاَ يَخَافُ مِنَ البَرْد.

2014-01-26

الْمِحْوَرُ الثَّالِث

حَوْلَ أَفْرِيقْيَا.. ومُنَظَّمَةِ التَّعَاوَنِ الإِسْلاَمِيّ

أفريقيا.. و نماذجُ من مآسيها وهمومها.. وشيءٌ من قضايا منظمّة التّعاون الإسلاميّ.. هذا ما دارتْ حوله مقالاتُ هذا المحور..

للأسف الشّديد... حافظت الدّولُ الأوروبيّةُ الاستعماريّة على مقادير من التّخلّف الاجتماعيّ والسّياسيّ والاقتصاديّ في مستعمراتها السّابقة..

وبالتّالي... تعلنُ هذه الدّول، خاصّة فرنسا الاستعماريّة، مرّة أخرى أنّها لا تخجلُ من سياسة ازدواجيّة الموازين التّي تماهت معها تمامًا، وصارت ثابتًا من ثوابت سياستها الخارجيّة خاصّة تجاه دول الجنوب.

ومع هذه السّياسة الآثمة والمقزّزة تطفو على السّطح سياسةٌ أخرى هي المتاجرة بالإرهاب والجماعات المسلّحة، والاستثمار فيها بشكل أو بآخر، ولهذا تتوالي التّساؤلاتُ عن سرّ عجزِ دولٍ كبيرةٍ مثل فرنسا في القضاء على عناصر مسلّحة في أماكن صحراويّة شاسعة ومكشوفة...؟؟ أم أنّ في الأمر (إنّ)، وأخواتها أيضا..؟؟

بعضُ ما كتبته كان من باب التّمني أو الرّجاء أو إرسال الرّسائل، خاصّة فيما تعلّقَ بمنظّمة التّعاون الإسلامي.. وكان الأَوْلَى أن يكون الكلامُ قاسيًا شديدًا خاصّة مع منظمةٍ تمثّلُ حكوماتٍ يعشعشُ الاستبدادُ والفسادُ في كثير منها.

المُعَادَلَةُ العَرْجَاء

كَانُوا يَسْتَلِمُونَ الطَّعَامَ بَعْدَ نَجَاحِهِم فِي الوُصُولِ إِلَى الشَّاطِئِ الإِيطَالِيّ حَيْثُ بِدَايَة "الجنّة".. وهناك كانتِ المفاجأةُ الصّاعقةُ للإيطاليّين المُشرِفين على عمليّة استقبالِ هذا العدد من المهاجرين الأفارقة، فقد اشتركَ عددٌ كبيرٌ من هؤلاء الضّيوف "غير المرغوب فيهم" فِي كَوْنِ رؤوس أصابعهم ملفوفة بِقِطَعٍ من القُماش الأبيض.

لم يَطُل الأمرُ على القومِ حيث عُرِفَ السَّبَبُ الذّي زاد من العجبِ، فقد عَمَدَ الشّبابُ الأفارقةُ إلى حرق رؤوس أصابع أيديهم لإخفاء بصماتهم، ظنّا منهم أنّ في ذلك عصمة لهم من حَمْلَةِ التّرحيل التّي بدأتها إيطاليا ضدّ جميع المهاجرين الذّين يحطّون رحالَهم حديثًا على شواطئها الطّويلة.

السّلطاتُ الأمنيّةُ الإيطاليّةُ تسعى لإيجاد حلّ لهذا المأزق الذّي أوقعها فيه "الاختراعُ الأفريقيّ" وليد الحاجة الماسّة إلى البقاء على أرض "الجنّة" التّي قطعَ أولئك المساكين آلاف الأميال من أجلها، وتحدّوا الموتَ بعينه وهم يمتطون تلك القوارب البسيطة التّجهيز، ليجتازوا بها البحرَ المتوسّط بأمواجه وحيتانه، وخفر سواحله على الجهتين الجنوبيّة والشّماليّة، وبعد أن دفعوا مبالغَ كبيرةً لعصابات التّهريب..!!

قد تتمكّنُ السّلطاتُ الإيطالية من التغلّب على مشكلة البصمات التّي تواجهها، وقد تتمكّنُ من التغلّبِ على مشاكل أخرى آنية، لكنّ المؤكّدَ أنّ القريبَ المنظورَ لا يحملُ بشرى "الحلّ النّهائيّ" لمشكلة تدفّق المهاجرين من الضّفة الجنوبيّة نحو "شقيقتها" الشّمالية، رغم المعاهدات والجهود والوعود، والحشود الأمنية على الضّفتين خاصّة الجنوبيّة مصدر القلق لذلك الإنسان الشّماليّ الذّي يريدُ أن ينامَ قَرِيرَ العين، ولا يسمعُ مجرّدَ همسةِ تَذَمُّرٍ، فضلاً عن كلمةٍ أو جملةٍ، من الإنسان الجنوبيّ..!!

والمؤكّدُ أيضا أنّ السّلطات الإيطاليّة والأوروبيّة عموما ما زالت تنظرُ إلى مشكلة الهجرة السّريّة من الجانب السّطحيّ الظّاهر منها فقط، والمرتبط غالبا بمصالحها وهواجسها ومخاوفها المباشرة، دون النّظر المعمّق إلى جذورِ تلك الظّاهرة، والأسباب الحقيقيّة التّي تقف وراءها، والمعطيات الأوّليّة التّي أدّت إليها، والتّي يعودُ معظمها إلى قرون مضت.

إنّ تلك المعطيات والجذور هي قصّةُ الاستعمار الأوروبيّ لدول القارّة الأفريقيّة وما صَاحَبَه من مآسٍ وفظائع وتدمير منظّم مدروس لإمكانيات الشّعوب الأفريقيّة، واستغلالٍ بَشِعٍ جَشِعٍ للثّروات الطبيعيّة على ظاهر الأرض وباطنها، واستعبادٍ للإنسان

الإفريقيّ ظَهَرَ جليًّا في شحن عشرات الملايين من الأفارقة وتسخيرهم لخدمة أراضي "الأوروبيّ المتحضّر" وأطماعه الاقتصاديّة في أمريكا خاصّة، ومناطق أخرى من هذا العالَم..!!!

وعندما خرجَ ذلك الاستعمار، أو أُخْرِجَ، لم يترك المكان نظيفا، ولم يخلّف وراءه ما يَسُرُّ عين النّاظر، بل خطّطَ لحروبٍ وفتنٍ دامت عشرات السّنين وما زالت، فالحدودُ التّي تركها بين الدّول "المستقلّة" كانت في أغلبها قنابل موقوتة..؟؟

وحبّذا لو ترك ذلك الأوروبيّ القومَ على حالهم بعد ذلك... يحلّون عُقَدَ الاستعمار بما تيسّرَ لديهم، وينتظرون بُرْءَ الجروح الغائرة على خرائط الدّول ونفوس النّاس.

لقد أدمن ذلك "المتحضّر" دَعْمَ أنظمةٍ وحكوماتٍ تسيرُ في رِكَابِهِ وتخدمُ مصالحه بحذافيرها، حتّى لو كان في ذلك الموت الزُّؤَام للعباد والسّقوط التّام للبلاد.

وبعد عقودٍ من "الاستقلال" صارت المعادلةُ العرجاء البائسة ظاهرةً للعيان لا تخطئها عينُ "نصف مبصر"، ولا يغفلُ عنها "رُبْعُ ذكيّ"..؟؟

والمعادلةُ باختصارٍ شديدٍ هي أنّ القومَ في الشّمال يستأثرون بثمانين في المائة من الاقتصاد والإنتاج العالميّ، مع أنّهم لا يمثّلون سوى عشرين في المائة من سكّان المعمورة، وفي المقابل يعيش ثمانون في المائة، نحن سكّان الجنوب، على عشرين في المائة فقط من دواليب وحركة ذلك الاقتصاد والإنتاج العالميّ..!!

لقد حافظَ الإنسانُ الأوروبيُّ على "الجحيم" في أفريقيا بكلّ الوسائل المتاحة لديه، وعَبْرَ عَوْلَمَتِه الثّقافيّة والإعلاميّة قَدَّمَ لشباب الجنوب جَنّتَه الأرضيّة في أزهى صورةٍ وأبهى حلّة، فلمّا أراد الشّبابُ الأفريقيُّ المحرومُ تَذَوُّقَ طَعْمَ "الجنّة"..!! وبذَل الغالي والنّفيس ليصلَ إلى الضّفة الشّمالية؛ تعالت أصواتُ سَاسَةِ أوروبا وأطلقوا العنان لجميع صفّارات الإنذار، محذّرين شعوبَهم من الخطر الدّاهم المحدّق بجنّتهم الوادعة..!!

أعجبني كثيرا تصوير الرّوائيّ الفرنسيّ اللّبنانيّ (أمين معلوف) لِنَظْرَةِ أهل الشّمال نحو غيرهم بعد أن استقرّ بهم الحال وغادروا عقودَ وسنواتِ الحروبِ والمآسي..!!

جاء في رواية "القرن الأوّل بعد بِيَاتْرِيسْ" على لسان أحد أبطال الرّواية: "لم يكن الغربُ دائما بالشّكل الذّي عرفتَه، هذه المساحة من السّلام والعدالة، المكترثة لحقوق الإنسان والنّساء والطّبيعة. أنا الذّي أَكْبُرُكَ بِجِيلٍ، عرفتُ غربًا مختلفًا تمامًا. قل لنفسك إنّنا، طوال قرون عديدة، طُفْنَا أرجاء المعمورة وشيّدنا الإمبراطوريات، ودمّرنا كلّ أشكال الحصار، وذبحنا الهنودَ في أمريكا، وحمّلنا الزّنوجَ على مَتْنِ السّفنِ للعملِ مكانهم، وقُمْنَا بشنّ الحربِ على الصّينيّين لإرغامهم على شراء الأفيون، أَجَل، لقد عَصَفْنَا بالعالَم كالإعصار، وهو إعصارٌ مفيدٌ ولكنّه مدمّرٌ على الدّوام. وهنا في مجتمعاتنا ماذا فعلنا؟ لقد أمعنّا في التّناحرِ والتّقَاصُفِ وإبادةِ بعضنا بعضًا بالغاز السّام، وبشراسة حتّى منتصف القرن العشرين. وفي يوم من الأيّام، إذْ أُتخمنا وتعقّلنا أُنهكنا وشِخنا، جلسنا على أكثر مقعدٍ وَثِيرٍ صارخين: **والآن فليهدأ الجميع!. وكما ترى فالجميعُ لا يهدؤون متى هدأنا".**

2008-09-11

جَارُنَا العَزِيز.. الأَمْرُ سَهْلٌ لِلْغَايَة

حدّد "الأنتربول" موقعَها بفضلِ نظامِ تحديدِ المواقع الشّامل "جي بي أس"، ومن هناك تحرّكتْ عناصرُ الشّرطةِ القضائيّةِ وداهمتْ العصابةَ المكوّنة من ثلاثةِ مغتربين... إنّها سيّارةٌ فخمةٌ من نوع "أودي كيو 7" تصلُ قيمتُها إلى سّتمائة مليون سنتيم، وقد ظنّ أفرادُ العصابةِ أنّهم بلغوا شاطئَ الأمانِ بعدما نقلوا السّيارةَ برّا من فرنسا إلى إيطاليا ثمّ بحراً إلى تونس ومنها إلى الجزائر العاصمة.

الخبرُ لم يكن جديدا بالنّسبة لي فقد سمعتُ عن هذا النّظامِ المتطوّرِ وقرأتُ عن عمليّات مشابهة، لكنّ قصّةَ هذه السّيارة المسروقة وكيفيّة اكتشافها أعادتني إلى خبرٍ آخر في الصّفحات الأولى للجريدة التّي كانت بين يدي.

الخبران يحملان مفارقةً واضحةً، ففرنسا، أو بعض أجهزتها، تلاحقُ سيّارةً عبر أنظمة متطوّرةٍ وتحدّدُ مواقعَ تنقّلاتها في مدينة مثل الجزائر العاصمة، بمرتفعاتها ومنحدراتها وأحيائها العتيقة وطرقاتها المتداخلة...!!

لكنّ فرنسا، بكلّ قوّتها وترساناتها واستخباراتها وأقمارها الصّناعية، ما تزالُ عاجزةً عن تحديد أماكن رهائن لها اختطفتهم مجموعاتٌ مسلّحةٌ في الصّحراء الكبرى..؟؟

الأمرُ هيّن حيث تحدّدُ فرنسا المواقعَ بدقّة، وتزوّدُ الدّولَ المعنيّةَ بالمعلومات الصّحيحة لتطوي هذا الملفّ تماما، وتتفرّغُ حكوماتُ المنطقة بعد ذلك لآلام وآمال الشّعوب، بعد عقودٍ عجافٍ أعقبتْ عقوداً أطول تفنّنَ خلالها الاستعمارُ الفرنسيُّ في نشرِ الفقرِ والجهلِ والمرضِ والتّخلف.

ولأنّ الاستعمارَ الحديثَ قد كشّرَ عن أنيابه الكريهة، ولأنّ فرنسا الرّسميّة، ومَنْ على شاكلتها، لا تعرفُ شيئًا سوى لغة المصالح، فإنّ العقلَ والمنطقَ يصرخان بشدّة في وجوهنا لندركَ أنّ الكرةَ أمام مرمانا مباشرة، والمطلوبُ هو الصّمودُ والتّصدّي الحازم لكلّ تلك المخطّطات التّي تسعى للنّيل من سيادتنا وأمننا، واستعمال أراضينا وأرواحنا لتمرير مشاريع ومصالح استراتيجيّة تخصّ الآخرين.

ومع أنّ دولاً مثل الجزائر أعلنتْ عن مواقف صارمة في هذا السّياق، فإنّ آخرين ما زالوا يَظْهَرُونَ بِوَجْهٍ هنا ووجه هناك، ولعلّ أبرزَ مثالٍ هو تصريحات رئيسِ إحدى دول جوارنا الجنوبيّ..!!

دولةٌ يُفترضُ أنّها عانت من ويلات الاستعمار مثلنا، وتعرفُ أهدافَه وأساليبَه وتدركُ جيدا، أو هذا ما ينبغي أن تكون عليه الحال، الشّبهَ بين اللّيلة والبارحة، فما هذه المقدّمات التّي نراها على أرض الصّحراء الكبرى سوى نسخة متطوّرة من تلك التّي

حدثت قبل قرون، عندما بدأ الاستعمارُ يتغلغل في أوساط القارّة الأفريقية ثمّ راح يلتهمها قطعةً بعد أخرى.

اللاّفتُ في حديث جارنا المحترم هو مدخله الإنسانيّ إلى موضوع الرّهائن الفرنسيّين الخمسة الذّين ابتلعتهم الصّحراء: (فلأسباب إنسانيّة لا بدّ أن نتحرّكَ لتقديمِ المساعدة وفقا لتجاربنا)..!!

نعم إنّها دوافعُ إنسانيّة نبيلة، وسعيٌ لإنقاذ أرواح أبرياء، وهي عواطفُ تستحقّ التّقديرَ والإشادةَ لكنّها جاءت في المكان والوقت الخطأ..!!

نعم يمكنُ القول بأنّه ليس في مقدورِ أحدٍ حرمان هؤلاء الرّهائن حقَّهم الإنسانيّ في الاهتمام الإقليميّ والدّوليّ، والسّعي لإطلاق سراحهم ليعودوا سالمين إلى أسَرِهم وذويهم..

لكن.. علينا صون أنفسنا من الوقوع في براثن الغباء السّياسيّ، عندما نتخلّى عن عقولنا وتفكيرنا وموازيننا وشواهد الماضي والحاضر..؟؟

نعم إنّهم الآن رهائن أبرياء، ونتمنّى أنّهم كذلك.. لكن من يدري..؟؟؟

فبعد عام، أو عشرة، أو خمسة وعشرين عاما على أبعد تقدير، قد يطلعُ علينا من يكتبُ مذكّرات، أو يتحدّثُ عمّا كان يوما في حكم الأسرار الخطيرة، وقد تتسرّبُ الوثائقُ أو يتمُّ الإفراجُ عنها، وعندها، إذا كتبَ الله لنا الحياة، ندركُ أنّ هؤلاء لم يكونوا رهائن عاديّين بل كانوا من ذوي المهمّات التّي تُوصَفُ بكذا وكذا، وأنّهم أدّوا هذا الدّور أو ذاك لصالح هذه الدّولة أو تلك، أو أنّهم كانوا ذريعةً لإيصال ملايين الدّولارات إلى عصابات تنخرُ استقرار وأمن بلداننا..؟؟

جارُنا المحترم أَبَاحَ لنفسه الكثيرَ والكثيرَ وتجرّأَ على الحديث باسم الدّول المعنيّة بالأمر عندما قال: (إذا كنّا لم نستطع إيجاد حلّ لمشاكل السّاحل فإنّ غيرنا يتدخّلُ ليعوّضنا)، وهي إشارة واضحة لعدم امتعاضه من تلميحات الفرنسيّين بالرّغبة في التّدخّل عسكريًّا في منطقة الصّحراء الكبرى.

وبعد ذلك توغّلَ جارُنا أكثر وأكثر في المنطقة المحظورة عندما قال إنّ على فرنسا (القيام بعمليّة عسكريّة، والعسكرُ موجود لهذه الأمور).. ثمّ سقطَ سقوطًا حرًّا عندما خَلَعَ أرديةَ السّيادةِ عن دول السّاحل والصّحراء بقوله إنّ (فرنسا وحدها التّي تقرّرُ إن كان عليها إيفاد قوّة عسكريّة من عَدَمه)..!!

ومع كلّ ما سبقّ حاولَ الرّجلُ أَن يحتفظَ لنفسه بمسافة أمان، وإن كانت قصيرة جدا، عندما قال (إنّ الجزائر محقّة بشكل ما في موقفها الرّافض لتدخّل قوّة أجنبيّة في السّاحل لمحاربة القاعدة)..

وليته ما فعل..!!! فكيف إذا لم يكن يحترم موقف الجزائر..؟؟

هل كان سيقترحُ على قوّات فرنسا تسيّير دبّاباتها على صدورنا حتّى تصلَ إلى عمق الصّحراء، وترابطَ على تخوم بلاده وتسرحَ وتمرحَ من هناك في أراضي الدّول المجاورة..؟؟

جارنا العزيز.. إنّ تقديرات وكالة الاستخبارات المركزيّة الأمريكيّة (CIA) لعناصر (القاعدة) في الصّحراء تتراوحُ بين ثلاثمائة وخمسين وأربعمائة فرد فقط، ومن خلال الصّور التّي بثّتها الفضائيّات عنهم، وعمليّات الخطف التّي قاموا بها، ندركُ أنّهم يتحرّكون في أماكن مكشوفة، ولا يختبئون في كهوف أو أماكن جبليّة وَعِرَة كما هو الحال مع أسامة بن لادن وقادة القاعدة في أفغانستان وباكستان.

فإذا كانوا على أرضك، جارنا العزيز، فأمرُهم سهلٌ للغاية لأنّ إمكانيّات القوّات الفرنسيّة ومقدرتها على تحديد المواقع أدقّ مما فعله الأنتربول مع تلك السّيارة الفخمة التّي سرقَها مغتربون وهرّبوها إلى الجزائر..!!

يَسْتَطِيعُونَ تَحْدِيدَ مَوَاقِعَ هَؤُلاَءِ الْأَرْبَعُمائَة، وسيصلُ جنودُك الأشاوسُ في الوقتِ المناسبِ ويقطعوا دابرَ هذا السّبب، ويخلّصوا صحراءّنا من أطماع الطّامعين.

2010-10 -09

نَحْوَ التَّعَاوُن.. خُطْوَةٌ إِلَى الأَمَام

الخميس الموافق للواحد والعشرين من شهر أُوتْ من عام 1969 كانَ يومَ حُزْنٍ وَأَلَمٍ على عُمُوم العَالَمَيْنِ العربيّ والإسلاميّ، والسّببُ هو تلك الجريمةُ النّكراء التّي ارتكبَها اليهوديّ الأستراليّ دِينِيسْ مَايْكِل عندما أَقْدَمَ على إِحْرَاق المَسْجِد الأقصى المُبَارَك لِيُخَلِّفَ مَأْسَاةً أليمةً ما زالت تطاردُ خيالاتِ وأفكارَ العربِ والمسلمين، ونثيرُ التّساؤلَ تِلْوَ الآخر عن اليوم الذّي يعودُ فيه الحقُّ إلى أَهْلِهِ دُونَ مِنَّةٍ مِنَ الشّرقِ أو الغرب.

الغضبُ الشّعبيُّ كان مَهُولاً، وكان من المنتظر أن يُوَاكِبَهُ غضبٌ رسميٌّ أكبر وأكثر فاعليّة على أرض الواقع، ولم يتأخّر ذلك الغضبُ كثيرا، من النّاحيّة السّياسيّة على الأقلّ, حيث شهدت الرّباط بعد شهر ونيّف من الجريمة قِمّةً وُصفت بالتّاريخيّة، خرجت بقرارِ إنشاء منظّمة المؤتمر الإسلاميّ باعتبار العمل الإسلاميّ المشترك خطوةً أساسيّة نحو الردّ الفعّال على جرائم وتجاوزات وغطرسة دولة الكيان الصّهيونيّ والجهات الدّولية التّي تحمي ظهرَها.

المنظّمةُ تطوّرت شيئا فشيئا بعد ذلك، حيث شهدت مدينةُ جدّة السّعوديّة خلال السّنة الموالية أَوّلَ مؤتمرٍ لوزراء خارجيّة دول العالَم الإسلاميّ، وهناك قرّرَ المجتمعون إنشاءَ أمانةٍ دائمةٍ للمنظّمة، وبعد تلك الخطوةِ أَبْصَرَ النّورَ أوّلُ ميثاقٍ للمنظّمة في الدّورة الثّالثة للمؤتمر الإسلاميّ لوزراء الخارجية الذّي انعقد عام 1972، وتواصلت الخطواتُ بعد ذلك ليصبحَ المؤتمرُ الإسلاميُّ ثاني أكبر منظّمة حكوميّة دوليّة بعد الأمم المتّحدة حيث تضمُّ في عضويّتها سبعا وخمسين دولة، ولاحقًا صارت المنظّمةُ تتألّفُ من عددٍ من الأجهزة الرّئيسيّة هي القمّةُ الإسلاميّة، مجلسُ وزراء الخارجيّة، الأمانةُ العامّة، إضافةً إلى أربعِ لجانٍ دائمة هي لجنةُ القدس، واللّجنةُ الدّائمة للتّعاون العلميّ والتّكنولوجيّ (الكومستيك)، واللّجنةُ الدّائمة للتّعاون الاقتصاديّ والتّجاريّ (الكومسيك)، واللّجنةُ الدّائمة للإعلام والشّؤون الثقّافيّة (كومياك).

كما صارَ للمنظّمة عددٌ من الأجهزةِ المُتَفَرِّعَةِ والمُؤَسَّسَات المتخصّصة تحاولُ جميعُها تعزيزَ التّعاونِ بين الدّول الأعضاء في مختلف المجالات.

عام ألفين وخمسة، في قمّة مكّة المكرّمة الاستثنائيّة، اعتمدَ زعماءُ العالم الإسلاميّ برنامجَ العملِ العشريّ للمنظّمة، الذّي أقرّ عددًا من القضايا منها تغيّير اسم المنظّمة ومراجعة ميثاقها كجزءٍ من عملية الإصلاح، وفي عام ألفين وثمانية، في قمّة دَاكَار بالسّنغال، اعتُمدَ

الميثاقُ الجديدُ وصدرَ قرارٌ بالشّروع في عملية تغيّير اسم المنظّمة بالتّشاور مع الدّول الأعضاء.

وبعد مشاورات مكثّفة وقع الاختيار، عبر التّوافق، على اسم يحافظُ على الاختصار اللاّتينيّ لتسمية المنظّمة (OIC)، وخلال افتتاح الاجتماع الثّامن والثّلاثين لمجلس وزراء خارجيّة المنظّمة، الذّي انعقد في أَسْتَانَا عاصمة جمهوريّة كازاخستان خلال الأيّام الثّلاثة الأخيرة من شهر جوان المنصرم، تمّ الإعلانُ عن الاسم الجديد الذّي حوّل المنظّمةَ إلى (منظّمة التّعاون الإسلاميّ)، وتشكّلَ الشّعارُ الجديدُ من ثلاثةِ عناصر رئيسيّة هي: الكعبة المشرّفة والكرة الأرضيّة والهلال.

وحسب تفسير أمانة المنظّمة للشّعار الجديد فإنّ الكعبةَ المشرّفةَ هي نقطةُ ارتكاز العالَم الإسلاميّ، وقد وُضِعَتْ في مركز الشّعار وترمزُ إلى العالَم الإسلاميّ ووحدته، وبالتّالي فهي ترمزُ إلى الدّول الأعضاء وإلى المنظّمة الإسلاميّة التّي تجمعها، أمّا الكرةُ الأرضيّة فترمزُ إلى تنوّع البشريّة بمختلف شعوبها وقبائلها في السّياق العالميّ الذّي يُمَثِّلُهُ الشّعار، أمّا الهلالُ فيرمزُ إلى الإسلام واحتضانه للعالم الإسلاميّ، وفي ذلك إشارةٌ إلى أنّ الإسلامَ هو القوّةُ المُوَجِّهَةُ والحاميةُ والمُوَحِّدَةُ للعالم الإسلاميّ، وهو كذلك بالنّسبة لمنظّمة التّعاون الإسلاميّ.

ما سبقَ ذكره يمكن وصفه بالكلام الجميل والانعكاس الرّوحيّ الوجدانيّ لبعض طموحات العالَم الإسلاميّ، عبر ترسيخ المرجعيّة الحضاريّة وتأكيد التّواصل مع العالَم دون عداوة أو إقصاء، لكنّ الحقيقةَ المرّةَ أنّ أمّتنا قد تجاوزت مرحلةَ الشّعارات وحدها، وتريدُ أفعالاً على الأرض تدفعُ بمكانتها بين أمم العالَم إلى الأمام، وتعيدُ لها كرامتها وحقوقها وأراضيها ومقدّساتها المغتصَبة هنا وهناك..؟؟

لقد حافظت المنظّمةُ أربعين سنة على الاسم الأوّل الذّي جاء مع مرحلة التّأسيس المنطلق من الرّغبة في الرّدّ على جريمة إحراق المسجد الأقصى، ولا شكّ أنّ من بين

أهداف المنظّمة الإسلامية، أو الشّعوب التّي تمثّلها على الأقلّ، تحرير الأقصى وإنصاف المظلومين في فلسطين، ولا شكّ أيضا أنّ هناك جهودا بُذلت في هذا السّبيل، لكنّ الملاحظَ أنّها كانت دائمًا دون الحدّ الأدنى لمستوى طموحات الشّعوب التّي تتجرّعُ كؤوسَ المَرَارَةِ من خلال ما تراه من غطرسةٍ صهيونيّةٍ وتَحَيُّزٍ أمريكيّ لا تنتفخُ له أوداجُ كثير من القادة المسلمين غضبًا ورفضًا واحتجاجًا..!!

إنّ قرارَ المنظّمةِ بالمراجعة والتّغيير جاء في عام ألفين وخمسة، وقرار تغيّير الشّعار بعده بثلاث سنوات، لكنّه تأخّر ثلاث سنوات أخرى ليتمّ الاتفاقُ عليه وتحقيقه وإعلانه على الملأ في دورة (أَسْتَانَا)..!!

إنّها وتيرةُ عَمَلٍ تدفعُ الكثيرين إلى النّظر بعين غير راضيّة عن أداء المنظّمة، ومع ذلك يمكن اعتبار هذا التّغيير الجزئيّ خطوةً مهمّةً لما بعدها من خطوات، خاصّةً أنّ أمانةَ المنظّمة والدّول الفاعلة فيها تدركُ حجمَ التّغييرات التّي حدثت، وما زالت تحدثُ، في نظرة المواطن العربيّ والمسلم للمنظّمة الإسلاميّة أو الجامعة العربيّة، وأيّ تكتّلات أو تجمّعات لا تبادرُ إلى تغيّير حقيقيّ يتناغمُ مع تطلّعات الشّعوب... هذه الشّعوب التّي تريدُ أن تعيشَ بكرامةٍ مثل غيرها، وتساهمَ في رسم مستقبلها دون أيّ مصادرة مهما كان توصيفها أو مبرّرها.

دعونا نتفاءلُ بكلمة التّعاون في اسم المنظّمة الجديد، لأنّها تدفعُ إلى التّفكير الجادّ في التّعاون الاقتصاديّ بين الدّول الإسلامية، وهو الهدفُ المطلوب في هذه المرحلة، لأنّ الاقتصادَ هو البّوابةُ الحقيقيّةُ للسّياسة وتحقيقِ المكاسب والانتصارات في ميادينها، فَأُمَّةٌ لاَ تُنْتِجُ وَلاَ تَصْنَعُ وَلاَ تَسْتَغْنِي بِمُقَدَّرَاتِهَا وَمُؤَسَّسَاتِهَا، **لَيْسَتْ جَدِيرَةً بِمُزَاحَمَةِ عَدُوٍّ أَوْ مُنَاصَرَةِ صَدِيق.**

2011-07-02

قَنَاةُ OIC.. الأَمَلُ المَوْعُود

eهيئةُ الإذاعةِ البريطانيّة، أو بي بي سي من لندن.. مَنْ مِنّا لم يسمع بها، وهل هناكَ من أهلِ الاختصاصِ من يستهينُ بدورها الفَاعِلِ وانتشارها الواسع وهي تتحدّثُ إلى العالمِ بخمسٍ وثلاثين لغةً.. لقد تأسّستْ عام 1922، وأُعِيدَ تنظيمُها بعد خمس سنوات وفقًا لِنُصوصِ مَرْسُومٍ مَلَكيّ، وظلّت تتمتّعُ بالاستقلال التّام في خدماتها الإذاعيّة والتّلفازيّة، وصارَ لدى الشّعب البريطانيّ اعتقادٌ راسخُ بأهميّة أن تظلَّ الهيئةُ في مَنْأَى عن الأحزابِ السّياسيّة.

شهرةُ هيئة الإذاعة البريطانيّة لا تعني بالضّرورة أنّها دون أخطاء ونقائص، لكنّ المؤكّدَ أنّها إحدى مؤسّسات الإعلام التّي تربّعتْ، وما زالت، على كرسيّ الحِرفيّة والنّزاهة.. وتحوّلت مع مرور الزّمن إلى مدرسة إعلاميّة فريدة يحترمُها أهلُ الاختصاص في جهات العالَم الأربع، وإن حافظتْ أقليّةٌ منهم أو أكثريّةٌ على موقفٍ معيّنٍ من الإمبراطوريّة التّي لم تكن الشّمسُ تغيبُ عن أراضيها في القرن التّاسع عشر، وظلّت الآن كذلك عبر حضورها الإعلاميّ في جميع أصقاع الدّنيا.

تذكّرتُ هيئةَ الإذاعةِ البريطانيّةِ، وتجاربَ أخرى أقلّ منها نجاحًا وانتشارا، في ختام المؤتمر الإسلاميّ لوزراء الإعلام الذّي تشهده لأوّل مرّة دولة في وسط أفريقيا، وهي دولة الغَابُون وعاصمتها الجميلة لِيبِرْفِيل.

والسّببُ هو تركيزُ المؤتمر ووزراء الإعلام الحاضرين على قناة منظّمة التّعاون الإسلاميّ (OIC)، حيث أخذت حيّزًا من الحوار الذّي دار خلال المؤتمر، وتراوحت الأحاديثُ بين مُتَفَائِلٍ ومُتَشَائِمٍ، وبين مُتَسَاهِلٍ يراها خطوةً قريبةَ المنال، وآخر يرى أنّها في حاجةٍ إلى دراسات أعمق وأوسع.

الفكرةُ الأوّليةُ لهذه القناة المنتظرة هي مؤسّسة تلفازيّة تقدّمُ برامجها وأخبارها بثلاث لغات (العربيّة والإنجليزيّة والفرنسيّة)، وهي اللّغات المعتمدة في أعمال واجتماعات وأمانة منظّمة التّعاون الإسلاميّ.

والأهدافُ المسطّرةُ لها تدور حول التّقريب بين الشّعوب الإسلاميّة في قارّات العالَم، وتسعى أيضًا لمقاومة ظاهرة الإسلاموفوبيا التّي انتشرتْ في البلدان الغربيّة، كما ستكون صوتًا عاليًا مُدافِعًا ومُنافِحًا عن قضيّة القدس وفلسطين، وإعادتها إلى رأس القائمة في أولويّات الأمّة.

وبداية يمكن القول إنّ فتح قناة فضائيّة لم يَعُدْ مشكلة، لأنّ السّماء تزدحمُ بالأقمار الصّناعية، وحيثما حرّكت الصّحنَ اللاّقطَ وضغطتَ على أزرار آلة التّحكّم، تساقطتْ عليك قنواتٌ من كلّ ألوان الطّيف..!!

وهكذا فإنّ ظهورَ قناةٍ تحملُ شعارا محدّدا لهذه الجهة أو تلك صار سهل المنال، لكنّ الإبداعَ والتّميّزَ يظهرُ عندَ القناة التّي تحملُ رُؤْيَةً ورِسَالَةً واضحةً، وتسعى، في حالتنا هذه، نحو (وضع استراتيجيّة متأنيّة لتأسيس إعلامٍ إسلاميّ مشترك يبدأُ بالتّنميّة البشريّة، ويسهمُ في صياغة المشهد السّياسيّ والإعلاميّ العالميّ) على حدّ تعبير الأستاذة عواطف عبد الدّائم الطّشاني وزيرة الثّقافة والمجتمع المدنيّ اللّيبيّة، التّي ترأّستْ وفدَ بلادها في المؤتمر الإسلاميّ لوزراء الإعلام.

إنّ صياغةَ قِيَمِنَا من جديد وترسيخها بين الشّعوب هي الهدفُ الرّئيس الذّي ينبغي أن تنطلقَ منه القناة الفضائيّة لتكون رائدةً فعلا، لأنّ شعوبَنا ملّت، أو تعبت، من الدّعوات الحماسيّة والتّعبئة المعنويّة المؤقّتة التّي تتناقصُ تدريجيا مثل بالونٍ كبيرٍ يتسرّبُ الهواءُ منه عبر ثقب دقيق..!!

إنّ الأمّةَ في حاجةٍ إلى صياغة مشروعٍ طموحٍ بعيدٍ عن العواطف والتّصوّرات القديمة للوحدة والتّقارب، لأنّ لهذه القضايا تطبيقات معاصرة ناجعة ربّما تجسدت بعضها في تجربة الاتّحاد الأوروبيّ، وتجمّعات اقتصاديّة وتحالفات سياسيّة أخرى.

إنّ غيرنا وصلَ إلى مراحل متقدّمة من التّنسيق والتّعاون الاقتصاديّ، والعملة الموحّدة والحدود المفتوحة، والسّياسة الخارجيّة والأمنيّة التّي ترتكز على قواعد يحترمها الجميع، وهكذا قد نَتَشَاءَمُ إذا نظرنا إلى حالنا وأنفسنا وما تمرّ به الأمّة الإسلاميّة، والأمّة العربيّة قلبها النّابض، لكنّنا سوف نتفاءلُ عندما نعود إلى قراءة المعطيات التّي يقف عليها الإعلام والاتّصال اليوم لندركَ أنّ ما حقّقه غيرنا في عشرات السّنين قد نصلُ إليه في عشر سنوات فقط، لأنّ ثورةَ الاتّصال ستصنعُ، مع وضوح الهدف وصدق العزم، المعجزاتِ في تقريب الشّعوب وإعادة تشكيل قِيَمِهَا الإيجابيّة من جديد وتحسيسها بأهمّية التّكتّل والتّعاون.

إنّ الأمّةَ في حاجةٍ إلى تفعيل كياناتها الإقليميّة الموجودة، والعمل بجدّ على دفع منظّمة التّعاون الإسلاميّ ومؤسّساتها نحو آفاق أرحب من التّنسيق الحقيقيّ، والتّعاون

الاقتصاديّ والسّياسيّ الجدّيّ، بما يحقّقُ الفضاءَ الذّي تحلمُ به الشّعوبُ دون أن تمسّ خصوصياتها الثّقافيّة واللّغويّة والجغرافيّة.

ومرّة أخرى ينبغي التّأكيد على أنّ الإعلامَ هو الْمُؤَهَّلُ لفتح الطّريق وصناعة هذه القيمة لدى الشّعوب والنّخب من جهة، وفي المقابل ردّ محاولات الخصوم التّي ستظهرُ بعد ذلك عندما تشعرُ أطرافٌ دوليّةٌ بالخطر من الكيان الجديد.

مشروعُ قناة منظّمة (OIC) طموحٌ وتَحْقِيقُهُ يَسِيرٌ، وتجربةُ (أُورُو نْيُوزْ) ماثلة أمامنا، ويمكن أن تتجاوزها المنظّمةُ لنصلَ إلى مجالٍ أكثر رحابةً، لأنّ مساحات الالتقاء والثّقافة والحضارة التّي تجمعنا أقدرُ على التّجميعِ والتّنسيق، بقدرٍ أكبر ممّا عند الأوروبيّين.

وحتّى عندما ترى هذه القناةُ النّورَ سواء بثلاث لغات، أو أكثر بعد ذلك، هل نتوقّفُ الجهودُ عند هذا الحد..؟؟

إنّ عالَمنا مشحونٌ بمؤسّسات الإعلام العابرة للقارّات وتأثيراتها في تزايد، وسرعة انتقال رؤوس الأموال وطرق الاستثمار الحديثة تحتّمُ على أصحاب الثّروات، في العالمَيْن العربيّ والإسلاميّ، **الدّخولَ فِي هَذَا الْمُعْتَرَكِ بقوّةٍ** والعملَ على أن يتحوّلوا إلى أرقامٍ صعبة في معادلات الإعلام العالميّ عبر المساهمةِ في المؤسّساتِ الإعلاميّةِ العالميّة.

الأمينُ العام لمنظّمة التّعاون الإسلاميّ البروفيسور أكمل الدّين إحسان أوغلو دعا القطاعَ الخاصَّ في العالم الإسلاميّ، خلال مؤتمر وزراء الإعلام، إلى الاستثمارِ في كبريات المؤسّسات الإعلاميّة، لتحقيق ربحيّة ماليّة والتّأثيرِ في مسار الأخبار والبرامج، بما يصحّحُ صورةَ الإسلامِ في جميع أنحاء العالم.. وهي دعوةٌ جديرةٌ بالدّراسةِ الجادّةِ والتّطبيق.

2012-04-21

فَاقِدُ الشّيءِ لاَ يُعْطِيه

الرّئيسُ المَالِيّ الإنتقاليّ ديوِكندا تراوري يعرب عن تصميمه "للتّوصّل في الأيّام القليلة المقبلة لتشكيل حكومة توافقيّة"، ونظيره الفرنسيّ، كما يُقال في لغة الدبلوماسيّة، السّيد فرانسوا هولاند يرى أنّ "تشكيل هذه الحكومة مؤشّر قويّ يفتحُ الطّريقَ لاستئناف التّعاون المدنيّ والعسكريّ".. والنّتيجةُ مساعدةُ دولة مَالِي على تجاوز محنةِ الانقسام التّي تعاني منها وتجنيبها الشّرّ الذّي يَلُوحُ في الأفق.

هذا الكلامُ وتفاصيلُه نشرته وسائلُ الإعلام بعد محادثةٍ هاتفيّةٍ بين الرّئيس الفرنسيّ ونظيره بالنّيابة سابق الذّكر، المتواجد في رحلةِ علاجٍ في باريس منذ شهر ماي الماضي.

الحديثُ دار أيضا حول الدّعم الفرنسيّ الموعود لقوّة أفريقيّة في مَالِي من خلال تفويض الأمم المتّحدة.

وتضيفُ وسائلُ الإعلام أنّ "الرّئيسَيْن هولاند وتراوري تباحثا حول الإمكانيات التّي يمكن من خلالها مساعدةَ مَالِي لاستعادةِ السّيطرة على كافّة أراضيها، ومحاربة المجموعات الإرهابيّة التّي تسيطرُ على مدن شمال البلاد، وترتكبُ العديدَ من الجرائم الخطيرة ضدّ السّكان والتّراث العالميّ، وتهدّدُ استقرارَ كامل المنطقة".

الموقفُ الفرنسيُّ حول أحداثِ مَالِي الجارية وتأثيراتها الخطيرة على المنطقة يدعو إلى السّخرية، ويتطابقُ مع مواقف قوى غربيّة من قضايا دولِ العالَمِ الثّالث..؟؟

تعملُ هذه القوى على تدمير الدّول والشّعوب وامتصاص ثرواتها عشرات السّنين، بل مئات السّنين عندما نضعُ في حسابنا فترة الاستعمار... وأكثر من ذلك تساعدُ وتدعمُ أنظمةً سياسيّةً مستبدّةً غارقةً في الفساد...

وعندما تلوحُ بوادرُ خطرٍ حقيقيّ أو وهميّ، ترفعُ هذه الدّولةُ الغربيّةُ أو تلك عقيرتَها بِبُكَاءٍ وعَوِيلٍ هو أقربُ إلى سلوكِ النّائحةِ المستأجرةِ لا الثّكْلَى..!!

وهكذا فإنّ أفضلَ ما يُقَالُ لهم في مثل هذه الحالات: صحّ النّوم.

تتحدّثُ فرنسا عن وَحْدَةِ أراضي دولة مَالِي ومصلحةِ شعبها، ونَسِيَتْ أو تَنَاسَتْ أنّ سياسَتها في تكريس التّخلّف ومواصلة نهب الثّروات هي التّي أدّت إلى تلك الاحتقانات العرقيّة والجهويّة، وفتحت البابَ واسعًا أمامَ انتشار الفكرِ المتطرّفِ... والنّتيجةُ هذه الحال التّي تُؤَرّقُ دولَ المنطقة بالدّرجة الأولى، والدّولَ الغربيّةَ بدرجةٍ أقلّ، لأنّ أعظمَ ما يمكن خسارته هو مجموعة امتيازات وثروات يمكن تعويضها من مكان آخر.

احتلّت فرنسا الاستعماريّة أراضي دولة مَالِي الحاليّة مدّة خمسة وستّين عامًا، لتَنَالَ البلادُ استقلالها عام 1960... ولنا أن نتساءلَ عن الدّورِ الفرنسيّ في المستعمرةِ السّابقةِ، وهل تَرَكَتْهَا في حال سبيلها تعالجُ نفسَها بنفسِها على الأقلّ، أم حَدَثَ العكسُ تماما..؟؟

لقد استمرّت السّيطرةُ اللّغويّةُ والاقتصاديّةُ والسّياسيّةُ الفرنسيّةُ في دولة مَالِي (المستقلّة)، وبعد سنواتٍ طويلةٍ من رَفْعِ عَلَمِ الاستقلال ظلّت الحالةُ المأساويّةُ تُرَاوِحُ مكانَها، وما أبلغَ الأرقامَ والأوصاف حين تتحدّثُ عن ذلك، فمعظمُ السّكان أمّيّون، ومتوسّطُ العمر خمسون سنة فقط، ويموتُ نحو نصف الأطفال حديثي الولادة، ونسبةُ الطّرق المعبّدة أكثر من عشرةٍ في المائة بقليل فقط، وبينما يعيشُ أغلبُ السّكان في بيوتٍ هي أقرب إلى الأكواخ؛ تعيشُ الأقليّة الأوروبيّة، من بقايا الفرنسيّين، في بيوتٍ حديثةٍ في العاصمة وبقيّة المدن..!!

والكلامُ يطولُ في هذا المضمار...

سياسةُ فرنسا في مستعمراتها السّابقة لم تَعُدْ سرًّا حيث تعملُ جاهدةً من أجل المحافظة على مستويات الفقر والتّخلف، وتسعى بكلّ ما تملكُ لإنهاك واستنزاف الاقتصاد والثّروات لصالح شركاتها وأقليّاتها، والزّائرُ للدّول الإفريقيّة يلاحظُ تلك القلاع الكبيرة في العواصم، والتّي تَتَمَوْقَعُ غالبًا في أماكن ليست بعيدة عن المطارات، وأكثرُ من ذلك تتوفّرُ على مَهَابِطَ للطّائرات العموديّة..!!

وعندما تسألُ عن سرّ هذا البناء العظيم في وسط مظاهر التّخلّف تجدُ الجواب: إنّها السّفارةُ الفرنسيّة، أو القاعدة العسكريّة والأمنيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة، وأحيانا حكومة الظلّ، التّي لا تكتفي بالنّقد والنّصح، بل توجّهُ الأوامرَ المباشرةَ للرّؤساء والوزراء وكبار المسؤولين..!!

الحديثُ عن تدخّلٍ دوليّ في دولة مَالِي، وعلى حدود الجزائر الجنوبيّة، يأخذُ مناحٍ متعدّدة، وربّما تختلفُ وجهات النّظر في الشّكل، وهل يمكن أن يصلَ إلى مستوى قوّات فرنسيّة وغربيّة كثيفة العدد وقويّة العدّة، أم يكتفي بقوّات أفريقيّة تدعمُها خبرات وأموال أجنبيّة..؟؟

وفي السّياق ذاتِه يمكن أن تُسَوَّدَ صحائفُ طويلةٌ عريضةٌ حول مخطّطات الغرب الخفيّة والعلنيّة في بلاد أفريقيا جنوب الصّحراء، ويطولُ الحديثُ عن مصالح الغرب وجَشَعِه..!!

وربّما نختلفُ حول إلقاء اللّوم عليه من عدمه، وهل نحاسبُه أخلاقيًّا، وعَبْرَ القِيَمِ التّي نؤمنُ بها، ويؤمنُ بها هو أيضا، أم أنّ الأمرَ محسومٌ بعدما عرفنا جميعا كيف ضبطَ الغربُ بَوْصَلَتَهُ، منذ مئات السّنين، على مَصَالِحِه فقط دون مراعاةِ إنسانيّة الشّعوب الأخرى، وحقّها في حياة حرّة كريمة...!!؟؟

السّؤال يُوَجَّهُ إلينا نحن بلدان المغرب العربيّ، وأين وصلنا بعد أكثر من نصف قرن من استقلال دُوَلِنا، وكيف عجزنا عن بلورة مشروعٍ موحّدٍ يقفُ في وجه مشاريع الآخرين التّوسعيّة التّي تريد ابتلاع كلّ شيء..؟؟

يأتي هذا السّؤالُ المؤلمُ للجميع ونحن نواجهُ مشاكل دولة مَالِي، وما قد يأتي بعدها، وتزدادُ الحسرةُ أكثر عندما نسمعُ عن عجز الدّول المغاربيّة في الوفاء بموعد القمّة المقرّرة في العاشر من أكتوبر بمدينة طَبَرْقَة التّونسيّة، لنجدَ أنفسَنا مرّة أخرى أمام تلك الدّائرة المغلقة من الخلافات المزمنة والمصالح التّي عرقلتْ، وما زالت تعرقلُ، انطلاقَ قطارِ اتّحادِ المغربِ العربيِّ الكبير.

ما الذّي تحتاجه مَالِي، ودول مشابهة لها، حتّى يتوقّف الخطرُ القادم من حدودها..؟؟ إنّه استقرارٌ سياسيّ، ودولةُ مواطنةٍ حقيقيّة، وتحكّمٌ في ثرواتها بما يحقّقُ الرّخاء، ولو في حَدِّهِ الأدنى.

وهل يعجزُ اتّحادُ المغرب العربيّ عن مساعدة دولة مَالِي في هذا المضمار..؟؟ **سَأُرْغِمُ نَفْسِي على التَّفَاؤُل...** لكنّني أخشى أن تكونَ دُولُنا إلى الآن في موقع: (فاقدُ الشّيءِ لا يُعْطِيه).

2012-07-28

التّعَاوُنُ الإسْلاَمِيّ.. نُقْطَةُ انْعِطَافٍ حَادّة

بمجرّدِ سماعِ أو قراءةِ الخبَرِ، قبل معرفة الأجندة ومسودّة القرارات، تتدافعُ المشاعرُ والأفكارُ ويسرحُ الخيالُ في مواقف وتحرّكات تاريخيّة بأتمّ معنى الكلمة، وتفرحُ قلوبُ المسلمين المستضعفين في كلّ مكان.. إنّها قمّةٌ إسلاميّة استثنائيّة في مكّة المكرمة، وفي العشرِ الأواخرِ من رمضان المعظّم.. وفي فترةِ أزمات تمرّ بها الأمّة، وأشدّها وَقْعًا على النّفوسِ شلاّلاتُ الدّمِ التّي تجري في سوريا.

نعم تشرئبُّ أعناقُ المسلمين، والعرب بوجه خاصّ، إلى قمّةِ مكّة الاستثنائيّة بعد أن طالتْ أيّامُ وشهورُ الأزمة السّوريّة، ووصلَ النّزيفُ إلى درجةٍ لم يكن يتصوّرُها أكثر المراقبين تشاؤمًا، والأخطرُ من ذلك هو انسدادُ الأبواب أمام مشاريع الحلول المطروحة عربيًّا ودوليًّا، لنجدَ أنفسَنا أمام نَشِيدِ الموتِ المرعبِ: (لا صوتَ يَعْلُو فوقَ صوت الرّصاص)..!!

ندركُ جميعا أنّ الوضعَ السّوريَّ سيكون على رأس أجندة قمّة مكّة الاستثنائيّة، وندركُ أيضا غلاءَ الدّم السّوريّ على قلوب الجميع، حيث باتَ يُراقُ على الملأ دون أيّ جهودٍ دوليّةٍ وعربيّةٍ حقيقيّةٍ لإيقافه، لكنّ الأجدرَ بالقمّةِ قبل ذلك، في أحاديثها الرّسميّة والهامشيّة، أن تلقيَ نظرةً عميقةً على خارطة العالَم الجديد التّي بدأتْ في التّشكّل، والثّنائيّة القطبيّة التّي ظهرت من خلال مواقف روسيا الاتّحادية والصّين الشّعبية حول سوريا، في مقابلِ موقف الولايات المتّحدة الأمريكيّة وحلفائها.

والحديثُ حول هذه الثّنائية القطبيّة يدعونا إلى التّساؤل عن دور دول منظّمة التعّاون الإسلاميّ، لأنّها تمثّلُ الآن أكبرَ كتلةٍ تصويتيّةٍ في المحافل الدّوليّة (57 دولة)..؟؟

فضلاً عن الأرقام المهمّة والمؤثّرة التّي تحوزها فيما يتعلّق بعدد السّكان، وحجم النّاتج العام، والنّسبة العاليّة من الطّاقة التّي تزوّدُ بها بلدانُ المنظّمةِ دولَ العالَم أجمع، وتأثير ذلك على ثقلها وقراراتها وخرائط تحالفاتها الإقليميّة والدّوليّة..؟؟

التّساؤلُ يتّجهُ نحو قمّة مكّة المكرّمة الاستثنائيّة، وهل في نيّة القادة والزّعماء المسلمين التّأسيس لقطبٍ ثالثٍ، حتّى نتمكّن من إيقاف عجلة الزّمن التّي تحاولُ السّير بنا إلى الوراء، وحتّى لا نجدَ أنفسَنا، نحن دول العالم الإسلاميّ، مرّة أخرى كرةً متدحرجةً بين أرجل اللاّعبين الكبار، كما حدث أثناء الثّنائيّة القطبيّة التّي أعقبت الحرب العالميّة الثّانيّة..؟؟

وعندما يُنْتجُ الحديثُ حول القطب الثّالث، الإسلاميّ، موقفًا شجاعًا حازمًا، وعزمًا أكيدًا على حجز مكان مستقلّ بين الأقطاب؛ ينتقلُ الحديثُ إلى سوريا وشلاّل الدّم الذّي يجري هناك، حيث باتَ واضحًا أنّ القوى الغربيّة بقدر ما تريد إسقاط نظام بشّار الأسد؛ تريد أيضا إسقاط سوريا معه حين يرحلُ النّظامُ ويتركُ البلادَ قاعًا صفصفًا، أو عصفًا مأكولا، لتتسلّمَ المعارضةُ ملفّاتٍ ومشاكلَ وعقباتٍ لا قِبَلَ لها بها، وتنخرطُ سنوات طويلة في عمليّات إعادة البناء النّفسيّ والاجتماعيّ والسّياسيّ والاقتصاديّ، وتكونُ البلادُ حينَها مفتوحةً على مصراعيها لمشاريع إعادة الإعمار الغربيّة والمؤسّسات غير الحكوميّة، وتكتشفُ الحكومةُ الجديدةُ أنّ الخروجَ عن القرار الغربيّ، في كلّ شيء، أمرٌ دونه خَرْط القَتَاد، لأنّ سوريا ليست ليبيا ولا العراق.. فهي لا تملكُ بترولاً أو أيّ ثروات أخرى تساعدُها على التّعافي السّريع من أزمتها، وتحصّنُها بالتّالي من نفّ المساعدات الغربيّة.

ربّما تتعثّر جهودُ الجامعة العربيّة لأنّها لا تملكُ سلطانًا على بعض الأطراف المؤثّرة في الملفّ السّوريّ، لكنّ منظّمةَ التّعاون الإسلاميّ، وفي قمّة مكّة المكرّمة، وبعد أن يصرّ القادةُ المسلمون على الانعتاق من الأقطاب الدّوليّة؛ سوف تتسلّمُ زمامَ المبادرة وتخاطبُ بقوّةٍ وصراحةٍ كلاّ من تركيا وإيران، وتستطيعُ رسمَ حدودٍ واضحةٍ بين المصالح المتضاربة، أو الرّؤى المختلفة، ويخرجُ الجميعُ بقرارٍ واحدٍ يختصرُ المعاناة السّورية ويوقفُ أنهارَ الدّم الجاريّة في شهر رمضان المبارك، ويقطعُ الطّريقَ على تلك الأطراف الدّولية التّي تريدُ تحويلَ مجريات الثّورة السّورية إلى حربٍ أهليّة تأكلُ الأخضرَ واليابسَ على حدّ سواء.

نتمنّى أن يخلو بيانُ قمّة مكّة المكرّمة حول سوريا من أيّ دعوات لمجلس الأمن والمجتمع الدّوليّ، وتكونُ القراراتُ والدّعواتُ موجّهة لأعضاء أسرة منظّمة التّعاون الإسلاميّ، ومن خلال آليات واضحة لوضع حدّ للصّراع الدّمويّ بأيّ صيغة توافقيّة.

إنّه مربط الفرس في أشغال القمّة الإسلاميّة، وهو امتحانٌ مفصليّ لمنظّمة التّعاون الإسلاميّ، ونقطة انعطاف حادّة في تاريخها.

وأيضا... على جدول أعمال القمّة أيضا ملفات أخرى لعلّ أبرزها ملفّ مسلمي الروهنجيا، في ميانمار، وعمليات الإبادة والتّطهير التّي يتعرّضون لها منذ عقود، والتّي ظهرتْ بشكلٍ أوضحٍ خلال الأشهر الماضيّة.

هذه القضيّة هي اختبارٌ آخر لدول منظّمة التّعاون الإسلاميّ.. فهل تستطيعُ الاصطفافَ الفعليَّ والضّغطَ على نظام ميانمار الاستبداديّ وحمله على إعطاء المسلمين هناك حقوقهم الكاملة..؟؟ خاصّة أنّ الحديث هنا عن دولة آسيويّة يمكن الضّغط عليها بوسائل متعدّدة، ولا نتحدّثُ عن دولة عظمى، أو كيان مدعوم مثل إسرائيل..!!

وهكذا لن يُعذرَ قادةُ الدّول الإسلاميّة، خلال القمّة، إن لم يخرجوا بقرارات تلبّي تطلّعات أقليّة الروهنجيا في العيش بأمنٍ وسلامٍ، ضمن مُوَاطَنَة كاملة وحقوق واضحة في أداء شعائر دينهم، وقبل ذلك وبعده برنامج مساعدات إنسانيّة ينتشل تلك الأقليّة من الفقر المدقع الذّي تتخبّط فيه.

وإضافة إلى ما سبق ننتظرُ من القمّة كلامًا جديدًا حول المخاطر المحدّقة بالقدس والمسجد الأقصى، وحول برامج الاستيطان الصّهيونيّة، كما ننتظرُ خطوات عمليّة لإنهاء الانقسام الفلسطينيّ، وفكّ الحصار عن قطاع غزّة، خاصّة بعد أحداث رفح المصريّة وتداعياتها على القطاع وشعبه الذّي يعاني من العدوّ والشّقيق في الوقت ذاته.

كما نتوقّعُ دعمًا وإشادةً بالتّحولات الدّيمقراطيّة التّي شهدتها دولٌ عربيّة على غرار تونس ومصر وليبيا واليمن.. **وبِجُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ: نُرِيدُ قِمَّةً تَقُولُ عَبْرَ قَرَارَاتِهَا إِنَّ هُنَاكَ قُطْبًا قَوِيًّا يُدْعَى: مُنَظَّمَةُ التَّعَاوُنِ الإِسْلاَمِيّ.**

2012-08-11

مَالِي.. السّؤالُ المُرّ

رغم أنّنا في عصرِ الانفجارِ الإعلاميّ ومجتمعِ المعلومات الذّي ينامُ ويستيقظُ عليها، ورغم أنّ الصّورةَ صارتْ باديةً في كلّ شيء بفضل الفضائيّات وعالَم الإنترنت المترامي الأطراف، إلاّ أنّ الصّورَ القادمةَ من شماليّ دولة مَالِي لا زالت شحيحةً للغاية، وهكذا تظلُّ الفضائيّاتُ العربيّةُ والأجنبيّةُ تكرّرُ لقطاتٍ ومشاهدَ متقاربةً لا جديدَ فيها إلاّ اليسيرَ النّادر.

السّببُ وراء شحّ المعلومات والصّور عن الحرب الفرنسيّة في شماليّ دولة مالي غريبٌ بعض الشّيء، فالمفترضُ أنّ الجيشَ الفرنسيَّ قد اصطحب معه ممثّلين عن وسائل إعلامٍ ووكالاتِ أنباء عالميّة، أو فرنسيّة على الأقلّ ليحقّقَ لها السّبقَ الصّحفيَّ من جهة، ويطمئنَّ هو على طبيعةِ المادّةِ الإعلاميّة التّي تصلُ إلى المشاهدين في شتّى أنحاءِ العالم...؟؟

المُفْتَرَضُ أن يتصرّفَ الجيشُ الفرنسيّ بهذا السّلوك الإعلاميّ الذّي صارَ تقليدًا في الحروب الأخيرة التّي خاضها الغربُ في عصر ثورة الإعلام والمعلومات، وقد شاهدنا ذلك في حرب غزو العراق عام 2003، وقبل ذلك في الحرب على أفغانستان.

الأمرُ بدا مقلقًا إلى حدٍّ كبيرٍ لأنّ استمرارَ التّعتيم الإعلاميّ قد يفتحُ أبوابًا واسعةً لمختلف التكهّنات والتّفسيرات عن حقيقة الوضع في شماليّ مَالِي، خاصّة الجانب الإنسانيّ منه، وهو ما دَفَعَ منظّمة (مراسلون بلا حدود) إلى مطالبة الجيش الفرنسيّ بالسّماح لوسائل الإعلام بتغطية الحرب لإطلاعِ العالَمِ على مجرياتها وتداعياتها، فهذا الأمرُ صار من الحقوق المكفولة لإنسان القرن الواحد والعشرين، حيث لا يُعْقَلُ أن يخرجَ علينا الرّئيسُ الفرنسيّ ويتحدّثُ عن الحرب من وجهة نظره، ثمّ يواصلُ التّعتيمَ على ما يجري في الميدان مهما كانت الأسباب والمبرّرات..؟؟

نعم.. لا ندري عن الوضع الإنسانيّ في مَالِي إلاّ أنّه سيّء، وأنّ عدد الفارّين يُقَدّرُ بمئات الآلاف... لكن... أين الصّور التّي تُوَثّقُ المأساةَ وتنقلُ مشاهدها إلى العالَم أجمع ليشكّل فكرةً متكاملةً عن الحرب الفرنسيّة في مَالِي، ومن ثمّ يقرّرُ ما إذا كان من واجبه التّدخل بشكل ما في المشكلة ولو من بعيد، أو حتّى عبر مساعدات عاجلة لهؤلاء الأهالي الذّين وقعوا بين مطرقة الجماعات المسلّحة وسندان القوّات الفرنسيّة الغازية.

الصّورُ القليلةُ التّي وردت من شماليّ مَالِي تظهرُ بؤسًا كبيرًا في حياة النّاس، وأساليبَ معيشةٍ غايةً في البساطة، وبنيةً عمرانيةً متواضعةً للغاية، الأمرُ الذّي يؤشّرُ إلى أنّ حكوماتِ مَالِي لم تقدّم شيئا يُذكر للمناطق الشّماليّة، وتركتها نهبًا للتّخلّف والفقر والأمّيّة والأزمات المتتاليّة والصّراع القبليّ والعرقيّ.

بل إنّ دولة مَالِي كلّها، أو السّودان الفرنسيّ كما كانت تُسمّى قبل الاستقلال عام 1960، تعاني حتّى الآن مضاعفات استمرار التّخلّف، أو الحفاظ على التّخلّف، فالسّكانُ الأصليّون يكابدون البؤسَ في مزارعهم وقراهم البسيطة ومراعيهم، ونسبةُ الأميّة عاليّة، وعددُ الأطفال الذّين يلتحقون بالمدارس لم يبلغ بَعْدُ نسبةَ الخمسين في المائة، ويموتُ نصفُ الأطفال المولودين حديثا بسبب الأمراض الفتّاكة..!!

في مقابل تلك الأغلبيّة، المعذّبة في الأرض، أقلّيةٌ من الأوروبيّين وأكثرهم من الفرنسّيين أبناء المستعمرين الأوائل... يعيش أفرادُ الأقليّة حياةً مختلفةً تماما حيث يتمركزون في العاصمة بَامَاكُو والمدن الأخرى، ويسكنون بيوتًا من الطّراز الحديث، ويشتغلون في التّجارة، ويزاولُ قسمٌ منهم أعمالاً في دَوَاوِين الحكومة والبنوك والمؤسّسات الاقتصاديّة..!!

هذا هو وَضْعُ دولة مَالِي الجارة الشّقيقة وهي تواجه غزوًا فرنسيا تدعمه دول أوروبيّة عديدة، وأنظمة أفريقيّة تدورُ في الفلك الفرنسيّ والغربيّ عموما..!!

وفي هذه الأجواء ربّما يكون من العبث الخوض في الأسباب التّي دعت فرنسا إلى التّدخّل العسكريّ في مَالِي، لأنّ للقوم مصالحَ لا يَسْتَحُون من التّصريح بها، ولو كانت على حساب حرّية وأمن وكرامة الآخرين.

كما بَاتَ من البديهيّ أنّ عقليّة فرنسا لم تتغيّر كثيرا خلال هذه العقود التّي تخلّت فيها عن الاستعمار المباشر للدّول الأفريقية، فهي تعتقدُ إلى الآن، على ما يبدو، أنّها السّيّدُ الذّي ينبغي أن يُطَاعَ في أفريقيا، وكأنّ شعوبَ الجنوب لم تبلغ بَعْدُ درجةَ الرّشد..!!

الحديثُ عن الوضع في مَالِي ينبغي أن يتّجهَ نحو الغوصِ في الأسباب القديمة المتراكمة التّي مهّدت الطّريقَ لفرنسا لتصلَ إلى هذه النّتيجة حيث صارت قوّاتُها تخوضُ في حدود الجزائر الجنوبيّة..؟؟

ينبغي أن يتّجهَ السّؤالُ إلى الدّول المغاربيّة، والدّول ذات التّأثير الأكبر منها بالتّحديد..؟؟

وفحوى السّؤال عن آثار هذه الدّول هناك في مَالَي شمالاً وجنوبًا وشرقًا وغربًا، وأفارقةً وطوارقَ وعربًا..؟؟

ماذا قَدَّمْنَا لَهَا خلال العقود الماضية، خاصّة ونحن نمتلكُ أموالا وثروات تؤهّلُنا لفعلِ شيءٍ مَا على الأرض..؟؟

أين نحن منهم، وأين الاستثمارات اللّيبيّة والجزائريّة على الأقل..؟؟

أين تأمين الحدود عبر التّعاون والتّنمية والتّعليم والتّربية، وليس عبر المسكّنات الآنيّة التّي تؤجّل المشاكل والأمراض، وتصنعُ منها جروحًا غير مندملة سرعان ما تنعطب، ولأبسط الأسباب.

لقد كان قَدَرُنَا أن نستلمَ من الاستعمار حدودًا ملغّمةً بتداخلٍ عرقيّ، فماذا فعلنا لتأمين هذه الحدود وتحويلها إلى مناطق تماسٍ إيجابيّ يخدمُ الجميعَ وينّمي روحَ التّعاون والإخاء، ويدفعُ نوازع الفرقة والتّقسيم التّي يحسنُ المستعمرُ القديمُ استغلالَها والعبث بها..؟؟

لقد تدخّلت فرنسا في مَالِي عسكريًّا فسارعتْ دولٌ كثيرةٌ إلى دعمها، لأنّها تعمُل ضمن منظومة مصالح مشتركة.. فأين دولنا من مثل هذه التّفاهمات والتّحالفات..؟؟

إنّ علينا جميعا تثمينَ لقاء مدينة غْدَامْس اللّيبية الذّي جمع رؤساء حكوماتِ كلّ من الجزائر وليبيا وتونس، لكنّه يظلُّ دون المستوى المطلوب خاصّة بعد اندلاع الحرب ودخول متغيّرات جديدة على المعادلة.

إنّنا في حاجة إلى لقاءاتٍ خماسيّة على المستويات الرّسميّة والشّعبيّة لِلْعَمَلِ سَوِيًّا مِنْ أَجْلِ وَضْعِ حَدٍّ لِلْأَخْطَارِ الَتِّي تُحَدِّقُ بِأَمْنِ واسْتِقْلاَلِ الْمِنْطَقَة.

2013-01-20

الفهرس

الموضوع	الصفحة
إهداء	04
مقدّمة	05
المِحْوَرُ الأَوّل.. فِي قَارّةِ آسْيَا	11
صُنْدُوقُ بَرِيد	12
مُشَرّف وجَيْلَانِي وَجْهَان لِعُمْلَةٍ وَاحِدَة	16
كَارْزَيْ أَفْغَانِسْتَان و كَارْزَايَات العِرَاق	20
أَذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُم	24
الدّيمُقْرَاطِيَّةُ العَرْجَاء	28
مَأْسَاةُ الأَكْرَادِ والخِيَارُ الثَّالث	32
أَفْغَانِسْتَان وغِشَاوَةُ عُيُونِ الغُزَاة	36
الرَّغْبَةُ الآثِمَة	40
آخرُ القِلاَع..	44
عَوْدَةُ الصَّيَّادِين المَشْبُوهِين	48
فِي ضِيَافَةِ الأَعْدَاء	52
دُرُوسٌ تُرْكِيَّة	56
المِحْوَرُ الثّاني.. حول أمريكا وأوروبا	61
كُوبَا وَظَاهِرَةُ الانْقِرَاض	62
الرُّوحُ الرّيَاضِيَّة	66

فوزُ أوبَامَا وحِكْمَةُ مَاكِين	70
كَرْنَفَال الأَنْفْلُونْزَا	74
كَفَاكُم فَقَدْ مَلَلْنَاكُم	78
قَدِيمَةٌ وَاللهِ.. وَسَخِيفَةٌ أَيْضَا	82
أُوبَامَا مَرَّة أُخْرَى.. مَا الْجَدِيد..؟؟	86
الْحُكَّامُ بَيْنَ الْإِنْسِ وَالْجِنّ	90
بُوسْطُن.. الارْهَابُ وَالْمُفَارَقَة	94
التَّرَاجِيدْيَا الْفَرَنْسِيَّة	98
هُولَانْد لاَ يَخَافُ مِنَ الإِرْهَاب	102
الْمِحْوَرُ الثَّالث.. حول أَفْرِيقْيَا.. ومُنَظَّمَةِ التَّعَاوُنِ الإِسْلاَمِيّ	107
الْمُعَادَلَةُ العَرْجَاء	108
جَارُنَا العَزِيز.. الأَمْرُ سَهْلٌ لِلْغَايَة	112
نَحْوَ التَّعَاوُن.. خُطْوَةٌ إِلَى الأَمَام	116
قَنَاةُ OIC.. الأَمَلُ الْمَوْعُود	120
فَاقِدُ الشّيءِ لاَ يُعْطِيه	124
التَّعَاوُنُ الإِسْلاَمِيّ.. نُقْطَةُ انْعِطَافٍ حَادَّة	128
مَالِي.. السّؤَالُ الْمُرّ	132

صدر للمؤلّف:

- 2010 خواطر سياسيّة
- دَنْدَنَات ثَوْرِيّة
- قضايا سُوفيّة
- الفرعونيّة.. تجليّات مُعَاصِرة
- دَنْدَنَات في الاحساس والتّفاؤل والتّغيير
- دَنْدَنَات ديمقراطيّة
- ذكريات ومواقف

في انتظار الطّبع:

- قضايا عربيّة
- قضايا وطنيّة
- من أروع القصص

تحت الاعداد:

- ومضات تنمويّة
- من الجَّدَيْدَة والرَّدَيِّف إلى الأَلْزَاس واللُّورِين.. مجموعة قصصيّة
- النُّوّار.. مجموعة قصصيّة
- من أربع عواصم.. يوميّات وذكريات

INTERNATIONAL ISSUES

By:

Tahir Amara Ladghem

SAMI

Printing & Publishing & Distributing

EL-OUED, ALGERIA

First edition

2021 AD / 1443 AH

INTERNATIONAL ISSUES

Tahir Amara Ladghem

صوت الأحرار
Sawt AL-AHRAR
يومية وطنية اخبارية
www.sawt-alahrar.net
sawtalahrar@gmail.com

ISBN:978-9931-798-64-4

سامي
للطباعة والنشر والتوزيع
تصميم